أخلاق الفرد
في
القرآن الكريم

تأليف
سماحة السيد حُسين الصدر
-دام ظله-

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمد لله ربِّ العالمين
والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه الكرام الميامين

الوجود الفردي في الإسلام

الإنسان.. لو تُرِكَ وطبيعته يسير في طريقها دون أن يلزم نفسه بتوجيه معين، لسارَ ووصلَ إلى غاية لا يتخلّف عنها أبداً.. هي:-

أن يكون أنانياً يحبُّ ذاته، ويعمل لمصلحة نفسه فقط، متصوراً أنَّ الوجود كله وقفاً عليه، وأنَّ الحياة الإنسانية خاصة به، ولا تحدُّ أنانيته، ولا نهاية لرغباته.. إن حصلَ على شيء منها، أمسكَ به عن غيره، وإن فاتَهُ الحصول عليه غضبَ وقلقَ.

ذاك لأنَّ ذاته في تصور نفسه، مركز هذه الحياة، وأنَّ كل ما فيها يجب أن يدور حول نفسه، وأن يكون له وحده دون غيره، وأنّه نتيجة هذا التصور في تقديره، أنّه لا يحقّ لغيره العيش في الحياة معه.

ونتيجة أنانيته إلى هذا الحدِّ، أن يسيطر عليه الخوف الأبدي من أن يفلت شيء ممّا في يده، ويستولي عليه الحزن الشديد إن فاته عرض من أعراض الدنيا، ويخاصم غيره خصومة عنيفة على امتلاك متع الحياة.

فإذن.. عيشته خوف وحزن ونزاع، وإذن.. حياته قلق واضطراب، لا طمأنينة فيها ولا سعادة.

هذه مظاهر تحكّم الفردية في سلوك الإنسان، وهي بذاتها دائرة الوجود الفردي الذي يعيش فيه الإنسان، ذلك الإنسان الذي لم يُوجّه توجيهاً صحيحاً سليماً.

والإسلام.. لا يرضى عن هذه الفردية ولا يُقرّها، ويراها فردية منحرفة، لأنّها لا توصّل إلى سعادة الإنسان نفسه ولا إلى كونه جزءاً من المجتمع.

ولهذا يحرص كل الحرص، على أن ينشئ الإنسان على الإيمان بالله، دفعاً له على الخروج من هذه الدائرة الفردية الضيقة، وبالتالي دفعاً له على الخروج من هذا الحرج النفسي الأليم.

والإيمان بالله ليس كلمة ينطق بها المؤمن.. بل هو عهد يعطيه الإنسان لله(تعالى)، ومجمل هذا العهد: أن يعيش لنفسه وغيره، ويُقرُّ إقراراً نفسياً بأنَّ له حقوقاً وعليه واجبات، له حقوق بقدر ما يؤدي من الواجبات المفروضة عليه، وبقدر ما يبذل من نفسه في سبيل معاشريه والمجتمع الإنساني، وعليه واجبات بقدر ما تحمّل من مسؤولية، وبقدر ما يعدّ نفسه إعداداً يجعلها تعرف وبوضوح أنّها ليست وحدها في هذه الحياة، وأنَّ مشاركيها في هذه الحياة لهم حقوق قبلها يتعيّن أداؤها.

المؤمنون بالله إذن.. أولئك الذين لم يذعنوا للطبيعة الإنسانية الفجّة، ولم يعيشوا لأنفسهم وحدهم، ولم يمشوا في الحياة لتحقيق مآربهم الذاتية الخاصة دون غيرها.

وعندئذ.. يكون المؤمن بالله ﷻ، إنسان أَمِنَ على نفسه الخوف، وحالَ بينها وبين الهمِّ والحزن، وجنّبها الخصومة والنزاع، ويكون الإنسان المطمئن في سعيه وعيشه، لأنّه يقصد وجه الله(تعالى) فيما يسعى وفي كلِّ شيء، وهو الناجح في هذه الدار، لأنّه استطاع أن يتغلّب على نزوات نفسه الأمّارة بالسوء، وهو الناجح في الدار الآخرة، ذلك لأنَّ الله لا يخلف وعده للمؤمنين، وهو القائل –جلَّ شأنه– في سورة المؤمنون/آية/ (8–11) ضمن وصفه للمؤمنين:–

﴿وَالَّذِيْنَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُوْنَ وَالَّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُوْنَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُوْنَ الَّذِيْنَ يَرِثُوْنَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ﴾

والقرآن الكريم وضّحَ حال الإنسان إذا انقادَ لطبيعته الأولى، فيقول تعالى في سورة المعارج/آية/(19–21):–

﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوْعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوْعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوْعاً﴾

كما وضّح بعد ذلك، حاله إذا آمن بالله وألزمَ نفسه بميثاق الله وعهده، فاستثناه من الحالة العامة، فقال:–

﴿إِلاَّ الْمُصَلِّيْنَ الَّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُوْنَ وَالَّذِيْنَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُوْمٌ

لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوْمِ وَالَّذِيْنَ يُصَدِّقُوْنَ بِيْوِمِ الدِّيْنِ وَالَّذِيْنَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُوْنَ﴾

ورويَ عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال:-

﴿عجباً لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكرَ، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له﴾

وبهذا الحديث يصوّر لنا الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) حال المؤمن بأنّها حال الاطمئنان والاستقرار، بعيدة عن الألم والانزعاج بالقياس إلى حال الإنسان المسترسل وفق نزواته وغرائزه، الأناني في مسعاه، والفردي في اتجاهه، وهو ذلك الإنسان الخائف الحزين القلق.

الإسلام يؤمن بالفرد، ولكنه لا يؤمن بالفردية، وهو في حال إيمانه بالفرد، يؤمن بحقيقة وجوده، وفي حال إنكاره للفردية يرغب في تجنيب الفرد وإبعاده عن مخاطر الفردية التي تتمثّل في الخوف الدائم والحزن الدائم والقلق الدائم.

وعلى هذا الأساس، يُشجّع الإسلام نشاط الفرد في أي جانب من جوانب الحياة، وحريته فيما يرى وفيما يُعبّر، ولا يحدُّ نشاطه الفردي وحريته الفردية، إلاّ في إيذائه لغيره من أفراد مجتمعه.

وبعد هذه المقدمة، أود أن أعرض وبإيجاز، الأخلاق القرآنية في اتصالها بالفرد، وعن نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان كفرد، ثم إلى الغاية التي قصدَ إلى تحقيقها في جانبه من وصاياه الأخلاقية.

فنرى سبحانه وتعالى يقول في وصف الإنسان، وفي تحديد نظرته إلى طبيعته الإنسانية، في سورة النحل/آية/78:-

﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ شَيْئَاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾

ويقول عزَّ وجلّ في سورة العلق/آية/(1–7):–

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾

فذكرَ سبحانه وتعالى في الآيتين الكريمتين، ثلاث حقائق:–

الحقيقة الأولى: إنَّ اللهﷻ خلقَ الإنسان من دون سابق توجيه معيّن يسير به في هذه الحياة، فهو ليس بمجبور على تصرفاته وأعماله.

الحقيقة الثانية: إنَّ الله(تعالى) زوّدَ الإنسان بمصدرين للمعرفة:–

المصدر الأول: وهو ما أودعه الله في طبيعته من حواس، وفي مقدمتها السمع والبصر، وما في نفسه من فؤاد وبصيرة وحكمة، وهذا المصدر هو ما أشارت إليه الآية الأولى.

المصدر الثاني: هداية الله وتوجيهه في كتابه المنزّل، وهو ما أشارت إليه الآية الثانية، وتكرّر هذا المعنى بكثير من الآيات المباركة، كما في قوله تعالى في سورة يونس/آية/57:–

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُوْرِ وَهُدَىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾

الحقيقة الثالثة: هو أنّه مع وجود هذين المصدرين لتزويد الإنسان بالمعرفة والتوجيه السليم في الحياة الدنيا، إلاّ أنّه قد يميل عن اتّباعهما وعندئذ يقلّ شعوره بوجودهما في حيّز حياته، فيبتعد عمّا يجب عليه من شكر الله(سبحانه)، وتشير إلى هذا المعنى نهاية الآية الأولى بقول المولى(سبحانه) ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾ وفي الآية الثانية بقوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ فَقِلّة شكر الإنسان للمولى ﷻ أو طغيان الإنسان ونسيانه فضل المنعم عليه، لا يكون إلاّ من كثرة المال أو انحراف عن اتّباع الهدى والرشد في التوجيه المنبعث من عقل الإنسان وحواسّه، وكتاب الله المنزل.

والسبب في ميل الإنسان وانحرافه عن هذين المصدرين في التوجيه، أنَّ الحياة يدور فيها أمران متقابلان:-

الأمر الأول: زخارف الدنيا ومفاتنها.

الأمر الثاني: القيم الأساسية الخالدة في الحياة.

فالاستمتاع بزخارف الدنيا ومفاتنها استمتاع عاجل، ولكنه مؤقت.. فالاستمتاع بالقيم الحقيقية استمتاع مؤجل ولكنه دائم، فبعض الناس يجذبه الأمر العاجل، وهو بطبيعته سهل الانقياد، والبعض الآخر منهم يؤثر الآجل من الأمرين ويتحمّل مشقته، وهو الذي يسلك في عداد المجاهدين الصابرين، المجاهدين مع أنفسهم والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس.

وقد صوّر الله ﷻ أمر الفريقين في قوله في سورة القصص/آية/(78-80):-

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِيْنَتِهِ قَالَ الَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوْتِيَ قَارُوْنُ إِنَّهُ لَذُوْ حَظّ عَظِيْمٍ وَقَالَ الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُوْنَ﴾

ولكن وجود هذا المغري الفاتن في الحياة الدنيا الذي يجذب إليه فريقاً من الناس في يُسرٍ وطواعية، مع هذا فإنَّ اللهﷻ قد تكفّلَ بالوقاية من فتنته في قوله تعالى في سورة الحجر/آية/42:-

﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾

بشرط ذكر الله والالتجاء إلى هدايته، يقول جلَّ شأنه في سورة ق/آية/16:-

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ﴾

ومعنى ذلك، أنَّ اللهﷻ ليس بعيداً عن الإنسان إذا ما التجأ إليه وطلبَ نصرته على هواه ونصرته من التأثر بزخرف الحياة.

إذن، فإنَّ الله(سبحانه) خلقَ الإنسان من دون توجيهٍ سلوكيٍّ مسبق لا يزيغ عنه، أو من دون أن يلزمه مسبقاً بأعماله في الحياة الدنيا، ولكن زوّده بمصدرين رئيسين للمعرفة يستطيع أن يسير في ضوئهما في حياته الخاصة والعامة، على هدى وبصيرة.

مصدر رُكِّبَ في فطرته، وهي الفطرة، يقول جلّ اسمه في سورة الروم/آية/30:-

﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾

فالفطرة هي التي امتزجت مع عقله أو فؤاده وحواسّه.

ومصدر آخر، هو إرسال الرسل والأنبياء وما أوحى به ربّ العالمين من الكتب السماوية لهداية الإنسان.

فنرى في أخلاق القرآن وآدابه، وفيما يرسمه للفرد كطريق لتصرّفه الفردي كي يُحقّق به وله صالحه الخاص.

ونجد أنَّ هذه الآداب والأخلاق تتركّز في أربع جوانب، وهي كل ما يتصور في دائرة الإنسان كفرد.

الجانب الأول: بكلام الإنسان وتعبيره ومنطقه، ففي مثل قوله تعالى في سورة الإسراء/آية/53:-

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُوْلُوْا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِيْنَاً﴾

يحثّ الإنسان على التعبير الحسن، وأنّه لو أُخِذَ به لتفادى كثيراً من أنواع النزاع والخصومات.

وقوله تعالى في سورة الأنعام/آية/152:-

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوْا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾

أوجبَ سبحانه في الآية، الاتزان في القول والعدل في المنطق، مهما كانت الدوافع التي من شأنها أن تميل الإنسان وتنحرف به عن العدل والاتزان، ولهذا تقول الآية:

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾

الجانب الثاني: يتعلق بسلوك الإنسان، وقد رغبَ إليه وأكدَ عليه أن يكون سلوكه مهذّباً سليماً مستقيماً، وهو السلوك الذي يبعد صاحبه عن إيذاء غيره، فيقول في هذا الجانب مثلاً كما في سورة لقمان/آية/(17-19):-

﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصوَاتِ لَصَوتُ الحَمِيرِ﴾

ويقول تعالى في سورة المجادلة/آية/11:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا قِيْلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوْا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾

ويقول في سورة البقرة/آية/283:-

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اُؤتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾

ويقول في سورة البقرة أيضاً:-

﴿وَلاَ تَنْسَوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

الجانب الثالث: ما يرتبط باطمئنان نفس الإنسان واستقراره في الحياة، أن يذكر الله ويتذكره دائماً، على أنّه هو وحده الذي يركن إليه ويلتجأ، وأنّه هو وحده يستطيع دفع البلاء والملمات، وأنّه هو وحده لا يخلف وعده فيما وعد به المؤمنين الصابرين، حيث يقول جلَّ شأنه في سورة الرعد/آية/28:-

﴿الَّذِيْنَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ﴾

الجانب الرابع: فيما يتصل بموقف الإنسان الفرد مع مجتمعه، من أحداث الحياة التي يتوقف عليها تحديد مصيرها، فلم يرضَ عن أن يكون موقف الإنسان منها موقف الأناني المستغل الذي يخذل أمته في سبيل نفعه وأنانيته، والذي لا يحقق في الحياة بعمله كفرد إلاّ ما يعود عليه وحده بالنفع، يقول اللهﷻ في سورة النساء/آية/(72-73):-

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيْبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيْدَاً وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُوْلَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوْزَ فَوْزَاً عَظِيْمَاً﴾

وهذا الإنسان الذي يقف من أمته هذا الموقف النفعي الأناني المستغل المهزوز المهزوم، هذا الإنسان ممقوت عند الله، بعيد عن رحمته، فهو ليس من الذين أطاعوا الله والرسول على نحو ما يقول تعالى في سورة النساء/آية/69:-

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقَاً ﴾

القرآن الكريم في وصاياه الأخلاقية للفرد نحو نفسه ينبغي أن يكون إنساناً

متكاملاً، مُهذّباً في قوله، مطمئن النفس والبال في حياته، إيجابياً في الحياة بعمله وسعيه له ولغيره من أفراد المجتمع.. المؤمن بالإسلام هو ذلك الإنسان.

-الفصل الأول

الأوامـر

تعليـم عـام:

﴿فَاسْأَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ﴾[1]

في الآية الكريمة.. أمر أخلاقي عام وإرشاد توجيهي إلى أصل عقلاني، وهو الرجوع إلى أهل الذكر، وهم أهل الخبرة والعلم المنصفون وأهل الإطلاع والفهم في القرآن الكريم والكتب السماوية.. وعن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام، أنّه قال في معنى الآية:-

﴿الكتاب: الذكر، وأهله آل محمد(عليهم السلام).. أمرَ الله ﷻ بسؤالهم، ولم يأمر بسؤال الجهّال، وسمّى الله ﷻ القرآن ذكراً﴾

فقال تبارك وتعالى في سورة النحل/آية/44:-

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾

وقال تعالى في سورة الزخرف/آية/44:-

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُوْنَ﴾

وقال تعالى في سورة الحجر/آية/9:-

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾

المصدر: تفسير البرهان

[1] سورة النحل/آية/43، وسورة الأنبياء/آية/7.

والتفسير في الرواية.. يعني التطبيق بدلالة أخبار الجري، وهي روايات دلّت على أنَّ مدلول الآية لا يحصر بأفراد معينين، وأنّه حينما تفسر الآية بفرد أو بأفراد، فذلك يعني التطبيق وذكر حالة بارزة للمفهوم العام، لا حصر المدلول.

وأما المفهوم فهو عام، فأهل الذكر بأوضح صورهم، هم الأنبياء والأئمة(عليهم السلام)، ومع غيبة الإمام(عليه السلام) فهم العلماء الفقهاء المجتهدون.. فالآية الكريمة تشير إلى وجوب الرجوع إليهم لمعرفة الدين والعمل به، كما أنّها باقتدائها إلى مختلف مجالات المعرفة، تعتبر تأكيداً على الرجوع إلى ذوي الاختصاص في كل حقل والاعتماد على أهل الخبرة.

تعليم أخلاقي:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِيَنْفِرُوْا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوْا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوْا إِلَيْهِمْ﴾[1]

في الآية الكريمة.. حثٌّ وترغيب في التفقه، بأن ينفر من كل بلد أو قبيلة، جماعة إلى المدينة المنورة أو غيرها من عواصم العلم ليتفقهوا في دين الله (عز وجل)، ويعرفوا حلاله وحرامه، أصوله وفروعه، ثم يعودوا إلى قومهم، لينذروهم ويرشدوهم ويحذروهم من عذاب الله(تعالى) على معصيته ومخالفة أمره، لعلهم يحذرون ويتّقون.

وهذه الآية تُقرّر حكماً شرعياً يعبر عنه الفقهاء بالوجوب الكفائي، فالتفقه في الدين واجب كفائي، والواجب الكفائي ما يكفي في إنشائه توفر البعض في الاتيان به، فإذا أتى به البعض سقط عن الباقين وإلاّ عوقبوا جميعاً.

جهد أخلاقي:

[1] سورة التوبة/آية/122.

﴿فَلاَ اقْتَحَمَ العَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَو إِطْعَامٌ فِي يَومٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمَاً ذَا مَقْرَبَةٍ أَو مِسْكِينَاً ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوا بِالمَرْحَمَةِ﴾[1]

إنّه مَثَلٌ ضربه تعالى لمجاهدة النفس وهوى الشيطان.. والمعنى: إنَّ الأعمال الصالحة تحتاج إلى جهد أخلاقي وجهاد نفسي، وصبر على المشاق والمتاعب والمصاعب، وإلى كبح الميول وردّ الرغبات.

والآية الكريمة تحثّ على أعمال الخير وتشير إلى أفضلها وأهمها، فتؤكد الآية على فكِّ الرقبة –أي كسر القيد عن رقبة الإنسان– سواء كان ذلك بإزالة ملكية إنسان آخر له وهو ما يعبّر عنه بالعتق، أو بتخليصه من ظلمه وأسره وإعادة الحرية والكرامة إليه.

وتشير إلى الإطعام في يوم المسغبة وهو المجاعة، وإطعام اليتيم من القرابة، وإطعام المسكين ذي المتربة– والمتربة: الفقر الشديد بحيث بلغَ بصاحبه أن يفترشَ التراب.. وبعد، تشير الآية إلى تواصي المؤمنين بعضهم لبعض بالصبر والطاعة والجهاد، وأن يتواصوا بالمرحمة– وهي المواساة وحبّ الإنسان لأخيه ما يحبّ لنفسه.. قال تعالى في سورة العنكبوت/آية/69:–

﴿وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

الآية تشير إلى الجهاد والمجاهدة... والجهاد ثلاثة أنواع:–

1–مجاهدة العدو الظاهر.

2–مجاهدة الشيطان.

---

[1] سورة البلد/آية/(7–10).

3–مجاهدة النفس.

وفي الآية الكريمة، ضمان من الله(تعالى) لمن جاهدَ في سبيله متقرّباً إليه، أن يهديه السبيل والطريق المستقيم.

وإلى نفس هذا المعنى تشير آية أخرى بقوله تعالى في سورة/محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)/آية/17:–

﴿وَالَّذِيْنَ اهْتَدَوا زَادَهُمْ هُدَىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾

وهذه الحقيقة التي تقررها الآية الكريمة، تنسجم مع ما يؤكده القرآن والإسلام من أنّه دين الفطرة، وأنَّ حقائق الإسلام الكبرى كلها تلتقي مع فطرة الإنسان.. فليس على الإنسان ليدرك تلك الحقائق، إلاّ أن يتحرر عن الحجب والأوهام التي قد تحول بينه وبينها، نتيجة التلقين والتربية والثقافة المنحرفة والبيئة أو أي شيء آخر، قال تعالى في سورة الليل/آية/(4–10):–

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾

هذه هي سُنّة الله(تعالى) في خَلْقِه.. أن يبيّن لهم الصلاح والفساد، والخير والشرّ، ويعطيهم القدرة على فعلهما وتركهما مع الأمر والترغيب بالخير والصلاح والنهي والتحذير عن الشرّ والفساد ثم يعامل كلاً بما يختاره لنفسه، فإن اختارَ الخير والصلاح بأن أعطى وبذل في سبيل الخير واتّقى وابتعدَ عن الحرام، وصدّق بالحسنى بأنّه آمن بالجنة والنار والحلال والحرام، عند ذلك يشمله الله(سبحانه) بتوفيقه وعنايته وييسّره لليسرى.

وإن اختار الشرّ والفساد بأن بخلَ بالبذل في سبيل الله(تعالى)، واستغنى عن الله والآخرة وكذب بالحسنى، عند ذلك يوكله الله(تعالى) إلى نفسه وأهوائه تقوده إلى الشدائد والمهالك والمكاره.

وبذلك يكمل الامتحان الربّاني الذي يتكامل من خلاله أفراد ويهوي أفراد أخرون.

ولو كان الله(تعالى) قد خَلَقَ الناس كآلات وركّبَ فيها ما يُسيّرها نحو الخير والكمال، لم يكن هذا خيراً ولا كمالاً وكان خلفاً وتناقضاً كما يقول المناطقة.

لأنَّ كمال الإنسان ليس بأن تتحرك يده كما تتحرك الآلة لتنقح الفقير درهماً، بل أن تتحرك يده بوحيٍّ من قلبه وضميره ليطعم ذلك الفقير ويكرمه.

طهارة النفس والقلب:

قال تعالى في سورة الشمس/آية/(9–10):–

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

إنَّ اللهﷻ خَلَقَ الإنسان، وأعطاه النفس التي يكون بها إنساناً، وأعطاه القدرة على الفجور والتقوى بشكلٍ متكافئ، ثم نهاه عن الشرّ وأمرَه بالخير، فإنَّ الإنسان يفعل الخير مع قدرته على الشرّ يكون مستحقّاً للثواب، أما مع عدم قدرته على الشيء الآخر فلا يستحقّ لا ثواباً ولا عقاباً ولا مدحاً ولا ذمّاً.

والآية المباركة تشير إلى تطهير النفس، وأنَّ الفلاح والفوز والظفر، بطهارتها وزكاتها من دنس الآثام والذنوب والقبائح، وذلك باختيار الخير والصلاح وتفضيله والعمل به، وأما من اختار الشرّ ولوّثَ نفسه بالذنوب والقبائح فهو الخائب الخاسر.

قال تعالى في سورة الشعراء/آية/(87–89):–

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيْمَ إِذْ قَالَ:.. وَلاَ تُخْزِنِي يَومَ يُبْعَثُونَ يَومَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونٌ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

الدعاء بعدم الخزي والفضيحة من الذنوب على وجه الانقطاع لله، أو من حيث

مخالفة الأولى والأحسن، في ذلك اليوم الرهيب، يوم تحشر جميع الخلائق، يوم لا ينفع المال والبنون أحداً، إذ لا يتمكن صاحب المال أن يفتدي من شدائد ذلك اليوم بماله، ولا يتحمل عن صاحب البنين بنوه شيئاً من معاصيه.. نعم، إلاَّ من أتى الله بقلب سليم ونفس طاهرة نقية زكية من الشرك والفساد والمعاصي.

وإنّما خصّ القلب لأنّه مصدر الإشعاع والمركز الرئيس عند الإنسان، فإذا سَلِمَ القلب سَلِمت سائر الجوارح من الفساد، من حيث أنَّ الفساد بالجارحة لا يكون إلاّ عن قصد بالقلب.

والآية الكريمة تشير إلى تجرّد المال والبنين عن فائدتهما في ذلك اليوم، لأنّهما علاقتان اجتماعيتان وكل العلاقات الاجتماعية تجمد في يوم الحساب، ويحشر كل كائن بوصفه فرداً وإن كان في مجموع.

قال تعالى في سورة ق/آية/(31–33):–

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِيْنَ غَيْرَ بَعِيْدٍ هَذَا مَا تُوْعَدُوْنَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيْظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيْبٍ﴾

الجنة للمتقين والمتقون للجنة، ويرون فيها ما وعدهم الله(سبحانه) من الخير الدائم والنعيم الذي لا يحدّه وصف، ولا يبلغه عقل، والأجر والثواب.

وتشير الآية إلى بعض علامات المتقين الطاهرين قلباً ونفساً.. فمن علامة أحدهم أنّه توّاب، يتجنب عن المعصية خوفاً من الله(تعالى)، ويحافظ على الطاعة راجياً ثواب الله، وهو في إيمانه وتوجّهه وإخلاصه على سبيل واحد، من دون فرق بين أن يكون غائباً عن الناس أم حاضراً بينهم، على عكس المرائي.. وهذا المتقي هو الذي يلقى الله ﷻ بقلب منيب سليم، ونفس طاهرة زكية.

الاستقامة:

قال تعالى في سورة فصلت/آية/6:-

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيهِ وَاسْتَغفِرُوهُ﴾

إنّها الاستقامة على سبيل الحقّ وطريق العدل، والتوجه إلى الله ﷻ بالطاعة والامتثال والعبودية، وعدم الميل عن سبيله المستقيم وصراطه القويم..

والآية تشير إلى بيان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) للمشركين، على أنّه بشر مثلهم بروحه وجسده، يأكل ويشرب، إلاّ أنّه أوحي إليه من الله(سبحانه) بالتوحيد وعدم الشرك، والاستقامة والانحراف، وأنَّ هذه الأوامر هي للجميع على حدٍّ سواء.

قال تعالى في سورة هود/آية/112:-

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

أمر من الله(سبحانه) بالاستقامة، وهي تشمل الاستقامة في العقيدة بما فيها، التوحيد والتنزيه عن الشبيه، وأيضاً تشمل الاستقامة في الأعمال والأخلاق والأحكام، وأيضاً تشمل جميع التعاليم من الرحمة والمحبة والتعاون، فهي جامعة لكلِّ الأعمال الخيرية، والأخلاق الكريمة المستقيمة.

وجاء في الحديث الشريف عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿قال سفيان الثقفي: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك؟.. قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): قل: آمنتُ بالله، ثم استقم﴾

وأما أجر الاستقامة وثوابها، فأعظم أجراً!.. إنّه عدم الخوف والحزن يوم القيامة،

ومن ثم البشرى بالجنة التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ومن ثم الخلود والدوام..

استمع إلى النص القرآني الشريف في سورة فصلت/آية/30:-

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أَلاّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُم تُوعَدُونَ﴾

التحكم في الأهواء:

قال تعالى في سورة النازعات/آية/(37-41):-

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنيا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِي المَأوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَى﴾

إنَّ من انقاد وراء أهوائه أوردته المتاعب والمهالك، ومن تغلّبَ على أهوائه فقد أبصرَ الطريق، وبلغَ من الخير غايته ومناه.

وصدق من قال:-

من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه.

وقال آخر:

إنَّ حقيقية الإنسان هي نفسه، فإذا تغلّب عليها الهوى أصبح مخلوقاً آخراً لا يشبه الإنسان في قلبه ولا عقله، فعلى الإنسان أن لا يكفر ويطغى ويؤثر الحياة الدنيا، فتكون الجحيم هي المأوى، أما لو خاف مقام ربه(تعالى) في السرّ والعلانية ونهى النفس عن الهوى والمحرمات فإنَّ الجنة هي المأوى.

قال تعالى في سورة ص/آية/26:-

﴿وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَاب﴾

أمرٌ من الله(سبحانه) بعدم اتباع الهوى والشيطان، لأنَّ الهوى يضلّ الإنسان عن سبيل اللهﷻ وعن طريقه المستقيم وإذا اتّبعَ هواه وأضل عن سبيل الله فتكون النار هي مأواه وما فيها من عذاب شديد وخزيّ وتحقير، وإنَّ أشقى الناس من خالفَ مولاه واتّبعَ هواه.

قال الإمام أمير المؤمنين الإمام عليه السلام:-

﴿إنَّ أخوف ما أخافه عليكم الهوى وطول الأمل، أما الهوى فإنه يصدُّ عن الحق وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة﴾

قال تعالى في سورة النساء/آية/135:-

﴿فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعدِلُوا وَإِنْ تَلووا أَو تُعرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيراً﴾

نهي من الله ﷻ عن اتّباع الهوى، لأنَّ اتّباعه ينافي العدل، وهذا واضح، لأنَّ اتّباع الهوى اتّباع للشيطان وطريقه، وهذا ينافي العدل، لأنَّ الإنسان إنّما يتمكن من العدل إذا كان في اتّباع اللهﷻ.

الامتناع عن شهوتي البطن والفرج:

قال تعالى في سورة البقرة/آية(183-185):-

﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُم الصِّيامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلّكُم تَتقُونَ أَيَّامَاً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَرِيضَاً أو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ وَعَلَى الذينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوّعَ خَيراً فَهُوَ خَيرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيرٌ لَكُم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

وَمَنْ كَانَ مَرِيضَاً أو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ ﴾

إنّه خُلُق عظيم أن يمنع الإنسان بطنه من كل اللذائذ المحرّمة، ويطهّرها من الآثام والنجاسات، تعبّداً وطاعة وامتثالاً لأمر اللهﷻ، ولأجل أن يتصور بهذا الامتناع وبهذا الجوع والعطش حال الفقراء الجائعين والمساكين البائسين، وأن يتصوّر موقفه يوم القيامة، يوم الجوع والعطش.

فالصوم من أهم العبادات، وهو واجب بضرورة الدين، كوجوب الصلاة والزكاة، ومن أنكرَ وجوب الصوم فهو مرتد يجب قتله، لأنّه من أنكرَ ضرورية من ضروريات الدين فهو كافر، وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال:-

﴿بُنِيَ الإسلام على خمس:- شهادة أن لا إله إلاّ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ﴾

فالصوم من ركائز الإسلام ودعائمه وأركانه، وبه يتمرّن الصائم على ضبط النفس، وترك الشهوات المحرمة، والصبر عنها.. فقد جاء في الحديث الشريف:-

﴿الصيام نصف الصبر﴾

قال أمير المؤمنينعليه السلام:-

﴿لكلِّ شيء زكاة، وزكاة البدن الصيام﴾

قال تعالى في سورة البقرة/آية/187:-

﴿ثُمَّ أَتَمُّوْا الصِّيَامَ إِلَى الَّلَيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُوْنَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُوْدُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوْهَا ﴾

مبدأ الصيام أول الفجر، ومنتهاه أول الليل، ويدخل الليل بمجرد مغيب الشمس وارتفاع الحمرة من المشرق.

وبعد ذلك تشير الآية المباركة إلى مباشرة النساء أثناء الاعتكاف.. والاعتكاف في

الشرع أن يقيم الإنسان في المسجد الجامع ثلاثة أيام بليلتين على الأقل صائماً، على أن لا يخرج من المسجد إلاّ لحاجة ماسّة، ويرجع بعد قضائها مباشرة وبدون تأخر، ويحرم على المعتكف مباشرة النساء ليلاً ونهاراً، حتى التقبيل واللمس بشهوة.

وعدم الجواز مطلق، من حيث مباشرة النساء، سواء كان في المسجد أو خارجه.. فلو خرجَ المعتكف من المسجد، وجامعَ ليلاً، واغتسلَ، ثم رجعَ إلى المسجد، فقد ارتكب محرماً، وعليه كفارة من أفطرَ في شهر رمضان متعمداً: أما عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً.

قال تعالى في سورة البقرة/آية/222:-

﴿وَيَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الْمَحِيْضِ قُلْ هُوَ أَذَىً فَاعْتَزِلُوْا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيْضِ وَلاَ تَقْرَبُوْهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَابِيْنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْن﴾

قال الرازي: روي أنَّ اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها، والنصارى كانوا يجامعونهن، ولا يبالون بالحيض، وإنَّ أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجالسوها على فراش، ولم يساكنوها في بيت، كفعل اليهود والمجوس.

في الآية سؤال للنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) عن مخالطة النساء في زمن الحيض.. فأمرَ اللهﷻ نبيّه الأكرم أن يجيب السائلين بأن يعتزلوا النساء أيام الحيض، فلا يجامعوهن، فقد جاء في الحديث الشريف:-

﴿إصنعوا كل شيء إلاّ الجماع﴾

والنهي كما تُعلّله الآية المباركة، لما فيه من الضرر والأذى من حيث القذارة والنجاسة، فلا يجوز مباشرتهن إلاّ بعد أن يطهرن،فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله، وكلمة (حيث) في الآية المباركة حقيقة في المكان.. وعليه يكون المعنى: فأتوهن في القبل، كما هو

المتبادر إلى الفهم.

كظم الغيظ والعفو:

قال تعالى في سورة آل عمران/آية/134:-

﴿الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ والْكَاظِمِيْنَ الغَيْظ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُ المُحسِنِينَ﴾

الآية تشير إلى بعض أوصاف المتقين وفضائلهم ومناقبهم فمنها: الإنفاق في السرّاء والضرّاء، واليسر والعسر، والرخاء والشدة، والسرور والاغتمام، فلا يبطرهم الغنى، ولا يضجرهم الفقر، فهم في الحالين سواء، ينفقون حسبما يستطيعون.. وفي الحديث:-

﴿تصدّقوا ولو بشقِّ تمرة﴾

ومنها كظم الغيظ، والغضب، فلا شيء أدل على قوة الإيمان، ورجاحة العقل، وعدالة الشخص، من تمالك النفس وكظم الغيظ.

والواقع أنَّ كظم الغيظ وتجرّعه مرارة ومشقة على النفس، ولكنه وقاية من كثير من المصائب والمتاعب والكوارث التي تكون نتيجة للغيظ والغضب.. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوصي ولده الإمام الحسن عليه السلام:-

﴿تَجرَّع الغيظ، فإنّي لم أرَ جرعةً أحلى منها عاقبة ولا ألذّ مغبّة﴾

وقال الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿من كَظَمَ غيظه وهو قادر على إنفاذه ملأه الله يوم القيامة رضا –أو في خبر أمناً وإيماناً–﴾

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:-

﴿ليس الشديد بالصُرَعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب﴾

ومنها العفو عن الناس، والصفح عنهم، والتجاوز عمّا يجوز العفو والتجاوز عنه مما

لا يؤدي إلى الإخلال بحقِّ الله(تعالى)، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿ما عفا رجل عن مظلمة قط إلاّ زاده الله بها عزّاً﴾

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:-

﴿إذا قدرتَ على عدوّك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه﴾

وتختم الآية الكريمة بقوله: ﴿وَاللهُ يُحِبُ المُحسِنِينَ﴾.. والإحسان كلمة عامة، وهي كل ما فيه نفع للآخرين سواء كان النفع مادي أو معنوي، أو كان كثيراً أو قليلاً، ولو بكلمة السلام، أو بكلمة –من هنا الطريق..

وروي أنّ جارية للإمام علي بن الحسين عليه السلام جعلت تسكب الماء عليه ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها فشجّته، فرفع رأسه:-

فقالت: إنَّ الله يقول:- ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾[1]

فقال لها:- ﴿قد كظمت غَيْظي﴾

فقالت:- ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[2]

قال:- ﴿قد عَفوت عَنك﴾

فقالت:- ﴿وَاللهُ يُحِبُ المُحسِنِينَ﴾[3]

قال:- ﴿إذهبي، أنتِ حرّة لوجه الله تعالى﴾

الاحتشام –العفّة– غضّ النظر:

قال تعالى في سورة النور/آية/(30–31):-

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوْا فُرُوْجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا يَصْنَعُوْنَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ

[1] سورة آل عمران، آية/134.

[2] سورة آل عمران، آية/134.

[3] سورة آل عمران، آية/134.

وَلاَ يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُوْلَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُوْلَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُوْلِتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِيْنَ غَيْرِ أُوْلِي الأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِيْنَ لَمْ يَظْهَرُوْا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِيْنَ مِنْ زِيْنَتِهِنَّ وَتُوْبُوْا إِلَى اللهِ جَمِيْعَاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴾

تشير الآيات الكريمة إلى وجوب غضّ النظر على النساء والرجال، وحفظ الفروج من الزنا، والعفّة والحجاب..

فتشير الآية أولاً بقوله ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾.. فقد أمرَ الله ﷻ الرجال بأمر أخلاقي عظيم، وهو حرمة النظر إلى ما لا يحلّ النظر إليه، وهُنَّ الأجنبيات.

فمن الواضح عند الفقهاء.. أنَّ الرجل لا يجوز له النظر إلى شيء من بدن الأجنبية إلاّ إلى وجهها وكفّيها، بشرط أن يكون النظر من دون تلّذذ أو شهوة، وأن لا يخشى معه الوقوع في الحرام.

وتشير الآية كذلك بقوله:﴿وَيَحْفَظُوْا فُرُوْجَهُمْ﴾.. إلى وجوب حفظ الفروج عمن لا يحلّ لهم وعن الفواحش والزنا.. ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا يَصْنَعُوْنَ﴾.. ذلك إشارة إلى الغضّ عن المحرمات وحفظ الفروج، وهو أطهر للنفس، وأقرب للتقوى، وأبعد عن الذنوب والآثام.

وتشير الآية أيضاً بقوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ﴾.. إلى أمر اللهﷻ النساء بمثل ما أمرَ به الرجال، من غضّ البصر وحفظ الفرج.

وتشير الآية كذلك بقوله: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾.. أي لا يظهرن مواضع الزينة لغير المحرّم ومن هو في حكمه، فالمراد بالزينة، مواضعها، لأنَّ الزينة بما هي لا يحرّم النظر إليها.. والمقصود بالظاهر من موضوع الزينة، ما يجوز كشفه وهو الوجه

والكفّان فقط.

وقد استدل الفقهاء بهذه الآية الكريمة على وجوب الحجاب، وأنَّ كل بدن المرأة يجب ستره إلاّ ما استثني منه، أي الوجه والكفين.. فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام:-

﴿عن الذراعين، هل هما من الزينة التي قال الله عنها: (وَلاَ يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ)، قال: نعم، وما دون الوجه والكفّ من الزينة -أي المحرمة-﴾

وتشير الآية بقوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾.. والمقصود، أنّه يجب على النساء أن يسدلن الأخمرة والمقانع ليسترن صدورهن ونحورهن، فقد قيل: كانت نساء الجاهلية يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن ونحورهن.

وبعد أن نهى سبحانه وتعالى النساء المسلمات عن كشف مواضع الزينة إلاّ الوجه والكفّين، سمح بعد هذا لهنّ بإبداء غيرهما لأثني عشر صنفاً:-

1-﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُوْلَتِهِنَّ ﴾.. فيجوز لكل من الزوجين أن يرى من صاحبه ما يشاء.

2-﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾.. ويدخل فيهم الأجداد من الأب والأم.

3-﴿أَوْ آبَاءِ بُعُوْلَتِهِنَّ﴾.. ويدخل في آباء الأزواج، الأجداد من الأب والأم.

4-﴿أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾.. وولد الولد ولد، ذكراً كان أو أنثى.

5-﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُوْلَتِهِنَّ﴾.. وإن نزلوا.

6-﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ﴾.. من الأب والأم أو من أحدهم.

7-﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾.. وإن نزلوا.

8-﴿أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾.. وإن نزلوا.

9-﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾.. فيجوز للمرأة أن تبرز جسدها أمام مثلها، إلاّ العورة، فيحرم ذلك حتى لو كانت أمّها أو ابنتها، كما يحرم عليها أن تنظر إلى عورتهما، ولا يحلّ ذلك أمام غير المسلمة.

10-﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾.. من الإماء والجواري، أما العبد فلا يجوز له أن ينظر إلى سيدته إلاّ الوجه والكفّين.

11-﴿أَوْ التَّابِعِيْنَ غَيْرِ أُوْلِي الأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾.. وهم الذين يخالطون الأسرة، ولكن لا شهوة لهم في النساء، كالعنين والأبله والهرم.

12-﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِيْنَ لَمْ يَظْهَرُوْا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾.. والمقصود، الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء، ولا يفرقون بين العورة وغيرها من أعضاء البدن لعدم شهوتهم.

ثم تشير الآية بقوله ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِيْنَ مِنْ زِيْنَتِهِنَّ﴾.. فقد كانت المرأة تلبس الخلخال، وكان بعضهن يضربن الأرض بأرجلهنّ فيسمع صوت خلخالهنّ فيهيج الرجال، فنهى الله(سبحانه) عن ذلك، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ على المرأة أن لا تأتي بأية حركة تثير الشهوة.

قال تعالى في سورة النور/آية/33:-

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِيْنَ لاَ يَجِدُوْنَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

هذا أمر من الله(تعالى) لمن لا يجد السبيل إلى الزواج.. بأن لا يتمكن من المهر أو النفقة، بالتعفف عن الفاحشة والامتناع عن الزنا، ويصبر حتى يوسّع الله عليه من رزقه.

قال تعالى في سورة النور/آية/60:-

﴿وَالْقَوَاعِدِ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُوْنَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِيْنَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾

تشير الآية إلى المُسنّات من النساء، اليائسات من الحيض، اللاتي قعدن عن التزويج ولا يطمعن في الرجال والنكاح، ولا الرجال فيهن.. فيجوز لهؤلاء النسوة نزع الثياب الزائدة التي هي فوق الخمار أو المقانع، ولكن أن يستعففن خير لهن، بعدم خلعها، وإن جازَ ذلك.

قال تعالى في سورة المؤمنون/آية/(1–7):–

﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ هُمْ فِيْ صَلاَتِهِمْ خَاشِعُوْنَ وَالَّذِيْنَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُوْنَ وَالَّذِيْنَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُوْنَ وَالَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوْجِهِمْ حَافِظُوْنَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُوْمِيْنَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُوْنَ﴾

تتعرض الآيات الكريمة إلى بعض صفات المؤمنين، من الخشوع والخضوع في الصلاة.. الذي هو نتيجة اليقين بالله والخوف من عذابه.. وإلى أنَّ المؤمن الواقعي، في شغل بطاعة الله، عن كلِّ لغوّ وباطل.. وإلى أنّه لابد أن يكون من دافعي الزكاة.. وتشير الآيات بعد ذلك إلى حفظ الفروج وسترها إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، من الإماء بملك اليمين، فإنّهم غير ملومين.

وبعد ذلك، تشير الآية الأخيرة.. إلى أنّه من طلب نكاح غير زوجته وأمَتِهِ، فقد تجاوزَ حدود الله، واستحقّ غضبه وعذابه.

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/(32–33):–

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي في قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوْفَاً وَقَرْنَ فِي بُيُوْتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأَوْلَى﴾

تأكيد على نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بالمحافظة والحجاب والستر وعدم التبرج.. فهنّ فوق النساء كرامة وشرفاً برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إن اتّقين الحرام ومعصية الله في القول والفعل.. ولقد جاء هذا التحذير في عصر النبي(صلوات الله عليه) وهو خير العصور، ومع هذا حذّرَ سبحانه نساء النبيّ من لين الكلام مع الرجال، والخروج من البيت متبرجات حاسرات، حتى لا يثرن الطمع في القلوب الفاجرة الفاسقة المريضة، هذا وهنّ من العفة والحشمة والصون فوق كل شبهة وريبة!!..

فكيف بعصرنا هذا؟. الذي طفرت فيه الأنثى من البيت إلى المسارح والمسابح، وأزاحت الستار عن أنوثتها بأسلوب جنسي محموم رخيص!..

الصـدق:

قال تعالى في سورة الزمر/آية/(33–34):–

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِيْنَ﴾

فالصدق زينة الحديث وعلامة الاستقامة ورمز الصلاح وسبب النجاح.. والآية تشير إلى أنَّ الصادقين الذين قالوا الصدق وصدقوا به قلباً وعملاً، بأنّهم هم المتقون المؤمنون المقربون من الله(تعالى)، ولهم ما يشاؤون وما يحبّون عند ربّهم، وذلك لأنّهم كانوا من المحسنين.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):–

﴿عليكم بالصدق، فإنَّ الصدق يهدي إلى البرّ وأنَّ البرّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً﴾

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/(70–71):–

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيدَاً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعَمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

أمرٌ من الله(سبحانه) للذين آمنوا، بالتقوى وقول الصدق والحقّ وعدم كتمانه.. والمقصود به هنا ما ينفع الناس وذلك بقرينة قوله تعالى ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعَمَالَكُمْ ﴾ حيث جعل تعالى القول السديد الصادق سبباً لصلاح الأعمال، ومثال ذلك: أن ترشد ضالاً، أو تقول كلاماً تصلح به بين إثنين، وأمثال ذلك من القول النافع.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/119:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ ﴾

والصادقون هم.. النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته(عليهم السلام) الذين أذهبَ الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

فقد وصفَ الله(سبحانه) في هذه الآية المباركة نبيّه بالصدق، وأمرَ المؤمنين أن يكونوا معه ويقتفوا أثره ويسيروا على نهجه.

الرقّة والتواضع:

قال تعالى في سورة لقمان/آية/19:-

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصوَاتِ لَصَوتُ الحَمِيرِ﴾

إرشاد إلهي بالاعتدال في السير والتواضع، فلا تبطئ في السير بشكل يحتمل معه التكبّر والاستعلاء، ولا تسرع فيحتمل الخفّة والمرح، واتّخذ بين ذلك سبيلاً.

وتشير الآية إلى اعتدال الصوت ورقّته، بحيث لا يزعج السامع ويبعده وينفره، وأنَّ رفع الصوت أكثر مما تدعو الحاجة إليه، يدلّ على بلادة المتكلم أو غضبه، ومثله الإخفات المخل.

قال تعالى في سورة الفرقان/آية/63:-

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً﴾

تشير الآية الكريمة إلى كيفية سير المؤمنين ومشيهم بقوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً﴾ فإنّهم يمشون بالوقار والسكينة والطاعة والخشوع والتواضع، من دون تكبّر

أو استعلاء، ولا مرحين ولا مفسدين.. وروي عن الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام، أنّه قال في تفسير هذه الآية:-

﴿هو الرجل يمشي على سجيّته التي جُبِلَ عليها، لا يتكلّف ولا يتصنّعُ﴾

التحفظ في الأحكام:

قال تعالى في سورة الحجرات/آية/12:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرَاً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعَضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

أمر أخلاقي من الله(سبحانه) باجتناب ظنّ السوء، والمقصود بالاجتناب عن الظنّ، هو الاجتناب عن ترتب الأثر عليه، لأنَّ أصل الظنّ شيء لا اختياري وخارج عن إرادة الإنسان، ولكن عليه أن لا يعوّل على ذلك الظنّ، ويعتبره كأنّه لم يكن.

وأما إذا عوّل عليه وظهر أثر ذلك في قول أو فعل، كان مسؤولاً ومستحقّاً للذمّ والعقاب.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿ظنّوا بالمؤمنين خيراً﴾

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:-

﴿ضع أمر أخيك على أحسنه﴾

ويمكن تلخيص الموضوع بجملة واحدة وهي.. أنَّ كل إنسان بريء حتى تثبت إدانته.

قال تعالى في سورة الحجرات/آية/6:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ

فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

الآية تدل بوجوب التحفظ في الأحكام على الآخرين، وحرمة الأخذ بقول الفاسق إلاّ بعد التثبت والتمحيص من خبره، وذلك خوفاً من الوقوع بمشاكل، كالإضرار بالآخرين، والندامة بعد ذلك في وقت لا ينفع الندم.

قال تعالى في سورة النساء/آية/94:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيْلِ اللهِ فَتَبَيّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾

تشير الآية المباركة إلى عدم التسرع في الأحكام على الآخرين، فإنَّ كل من أظهرَ الإسلام وشهد الشهادتين بأن قال: اشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، كان له ما للمسلمين من حفظ النفس والمال والعرض، وعليه ما على المسلمين، أما حقيقته وباطنه فذلك موكول إلى اللهﷻ وحده.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية.. أنّه لما رجع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة خيبر، وبعثَ أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في (ناحية فدك) ليدعوهم إلى الإسلام، كان رجل يقال له (مرداس بن نهيك الفدكي) في بعض القرى، فلما أحسَّ بِخَيْلِ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، جمعَ أهله وماله في ناحية الجبل، فأقبل يقول:

أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فمرَّ به أسامة بن زيد فطعنه فقتله، فلما رجع إلى رسول الله(صلوات الله عليه) أخبره بذلك.

فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿قتلتَ رجلاً شَهِدَ أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله﴾

فقال: يا رسول الله، إنّما قالها تعوّذاً من القتل.

فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿فلا كشفتَ الغطاء عن قلبه، ولا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت﴾

اجتناب التصرف بغير علم:

قال تعالى في سورة الإسراء/آية/36:-

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤولاً﴾

الآية الكريمة تنهى عن اتّباع وقول كل شيء ليس لك به علم، والآية مطلقة فهي تشمل الاتّباع اعتقاداً وعملاً.

فالآية تأمر أن لا تعتقد ما لا علم لك به، ولا تقل ما لا علم لك به، ولا تفعل ما لا علم لك به، وهذه مسألة فطرية، فإنَّ فطرة الإنسان تقوده لاتّباع العلم وما قام على أساسه، والمنع من إتّباع غيره من الظنون والشكوك.

وذكرَ سبحانه السمع والبصر والفؤاد، وأراد صاحب هذه الأدوات الثلاثة، وأنَّ اللهﷻ يسأله عنها ويعاقبه إذا أسندَ إليها ما لا يعلم.. كما لو قال، سمعت دون أن يسمع، ورأيت وهو لم يرَ شيئاً، واعتقدت وعزمت، وهو لم يعتقد بذلك الشيء ولا يعزم عليه..

ولا فرق في الواقع بين من يتعمّد الكذب، وبين من يسرع إلى القول من دون تثبّت ولا رويّة، فإنَّ كل قول استندَ إلى ظنّ أو شبهة، هو قول بغير علم.

قال تعالى في سورة النجم/آية/28:-

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئَاً﴾

الصبر والثبات:

قال تعالى في سورة المدثر/آية/7:-

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

وقال تعالى في سورة النحل/آية/127:-

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاّ بِاللهِ﴾

في الآيتين الكريمتين، أمرٌ من الله(سبحانه) إلى نبيّه الكريم بالصبر، وأنَّ هذا الصبر يكون بعونه تعالى وتوفيقه، وأنَّ الله(تعالى) ما أمرَ نبيّه بشيء من مصاعب التبليغ وتكاليف النبوّة إلاّ وقرنَ تلك الأوامر بالصبر، وذلك لأنَّ الله(تعالى) يعلم بأنَّ نبيّه سيلاقي الأذى الكبير من المعاندين والمتمردين.

قال تعالى في سورة آل عمران/آية/200:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾

في الآية الكريمة، أمرٌ من الله ﷻ إلى المؤمنين الحاملين لرسالته بالتحمّل والصبر لكل ما يلقونه من الأذى والسخرية والاستهزاء من الحاقدين الضالّين والمنافقين.

قال تعالى في سورة آل عمران، آية/186:-

﴿لَتُبلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾

إخبار من الله(سبحانه) للمؤمنين لما سيسمعون من الأقاويل المؤذية لهم، والواقع أنَّ هذه الأقاويل والتهم والافتراءات وكلما يصحبها من التضحية، هي ثمن الحقّ وثمن الجنة.

وإنَّ الإنسان كلما كان قويّاً في دينه، اشتدّ بلاؤه وعظم، ذلك أنَّ من واجب أهل

الحقّ والعدل كراهية أهل الباطل والنفاق، وبعد ذلك صبرهم على تهمهم وافتراءاتهم.

قال تعالى في سورة البقرة/آية/214:-

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتُهُمْ البأسَاءُ والضَّرَّاءُ﴾

خطاب للمؤمنين.. إلى كل من اعترف وآمنَ بالحقّ وعمل به وبلغَ إليه.. الآية تقول: بأنَّ سُنّة الله جرتْ في أنصار الحقّ، أن يتحمّلوا الأذى والمكاره ويصبروا على المصائب والشدائد وكلما يُصاحبها من التضحيات، وقد لاقى الذين كانوا قبلكم أنواعاً من الأذى من أجل الحقّ، فصبروا، فهل أنتم تصبرون كما صبروا؟.. أم تريدون الجنة بلا ثمن!!.. وقد أبى صاحبها إلاّ أن يكون ثمنها الإيمان والإخلاص والصبر والثبات.

وقد روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول:-

﴿إنَّ الجنة حُفّت بالمكاره، وإنَّ النار حُفّت بالشهوات، واعلموا أن ما من طاعة الله شيء إلاّ يأتي في كره، وما من معصية الله شيء إلاّ يأتي في شهوة

قال تعالى في سورة العنكبوت/آية/(1-3):-

﴿ألم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمنَّ الكَاذِبِينَ﴾

الآية تشير إلى أنَّ الناس، هل ظنّوا أن يُتركوا فلا يمتحنوا بما يظهر به صدقهم وثباتهم أو كذبهم في دعوى الإيمان بمجرد قولهم!!..

فإنَّ الإيمان ليس كلمة تُقال، بل لابد من الابتلاء بأنواعٍ من السرّاء والضرّاء، فمن صبرَ وثبتَ عند الضرّاء ولم يخرج عن دينه، وشكرَ وتواضعَ عند السرّاء، ولم يطغِه الجاه والمال، فهو المؤمن حقّاً، وإلاّ ليس له من الإيمان من نصيب.

قال تعالى في سورة البقرة/آية/(153-157):-

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بالصَّبرِ وَالصَّلاةِ إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ وَلَنَبلُونَّكُمْ بِشَيءٍ

مِنَ الخَوفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾

خطاب إلهي موجّه للمؤمنين بالاستعانة بالصبر والتحلي به، وقد أكّدَ القرآن الكريم على الصبر حتى ذكرَه في سبعين موضعاً منه، كما جاء في تفسير المنار: بأنَّ الصبر ذُكِرَ في القرآن سبعين مرة، وهذا يدلُّ على عظم أمره، وقد جعل التواصي به في سورة العصر مقروناً بالتواصي بالحقِّ، إذ لابد للداعي إلى الحقّ منه.

وإنَّ الصبر من أعظم المَلَكات وأفضلها، ثم أنَّ الصبر لا يُمدح لذاتهِ، بل إنّما يمدح ويحمد إذا كان وسيلة لغاية نبيلة أو هدف شريف، وذلك كالصبر في الجهاد المقدس، والصبر على العوز والفاقة والفقر من أجل تحصيل العلم، والصبر على المزعجات والمكاره من أجل العيال والأسرة وتربية الأطفال، والصبر على فَقْد عزيز، والصبر على كلمة سفيه دفعاً للشرّ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:-

﴿الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر على ما تحبّ﴾

وقد يكون الصبر مذموماً أو قبيحاً، وذلك كالصبر على الجوع مثلاً مع التمكن والقدرة على العمل، فهذا صبر مذموم.

وأما المناسبة من قرن الصبر بالصلاة في آية واحدة، هو أنَّ معنى الصبر تعويد النفس وتوطينها على احتمال المكاره والمصائب والشدائد.. ويحتاج هذا التعويد على التحمل إلى ثقة كاملة بالله عزّ وجلّ، وإيمان مطلق بأنّه مع الصابرين.

ومن الواضح جداً، أنَّ الصلاة تؤكد هذه الثقة، وتثبت هذا الإيمان، بالإضافة إلى أنَّ الوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ ومناجاته تُقلّل من شدة الألم، وتُخفّف من وطأة المصاب.

وتشير الآية الكريمة بعد ذلك إلى وجوب الإيمان والاعتقاد بأنَّ من استشهد في سبيل الله(سبحانه)، فإنّه ينتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ويحيا هناك حياة طيبة، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة آل عمران/آية/169:-

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِي سَبِيْلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ﴾

وتعود الآية الشريفة إلى موضوع الصبر وامتحان المؤمنين بالخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنَّ هذه الأمور هي ثمن الحقّ والتمسك به، الذي يقود صاحبه إلى الجنة، فلابد من الابتلاء والامتحان والاختبار، وبهذا نجد تفسير الحديث الشريف المروي عن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿البلاء موكل بالمؤمن، وأنَّ أشدّ الناس بلاءاً الأنبياء، ثم الأوصياء، ثم الذين يلونهم، الأمثل فالأمثل﴾

وهو القائل:-

﴿ما أُوذيَ نبيّ بمثل ما أُوذيت﴾

ثم تشير الآية إلى.. ثواب الصابرين وأجرهم، بقوله: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾.. والصلاة من الله(سبحانه)، التكريم وعلوّ المنزلة.. ورحمته تعالى لعبيده، الرفق بهم، والهداية إلى خيرهم، والإنعام عليهم.. وفي الحديث الشريف:-

﴿ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع إلى أمر الله بقوله: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي، فأجرني فيها وعوّضني خيراً منها، إلاّ آجرهُ الله عليها وعوّضه خيراً منها﴾

وقد ذكرَ بعض المفسرين: إنَّ الله(سبحانه) أعطى للصابرين ثمانية أنواع من الأجر والكرامة:-

(1،2)-الصلاة والرحمة: ﴿أُولَئِكَ عَلَيهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ سورة البقرة

157.

3–البشارة: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِيْنَ﴾ سورة البقرة:.155

4–الهداية: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ سورة البقرة: .157

5–النصر: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾ سورة البقرة: .153

6–المحبة: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِيْنَ﴾ سورة آل عمران:.146

7–غرفات الجنة: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوْا﴾ سورة الفرقان:.75

8–الأجر الجزيل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ سورة الزمر:10.

القدوة الحسنة:

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/21:–

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾

تشير الآية المباركة إلى الأمر بالأسوة الحسنة برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):–

والأسوة الحسنة هنا بمعنى، الاقتداء والاتّباع والامتثال للرسول الأعظم.. ثم تبيّن الآية بأنَّ هذا الأمر لمن كان في الواقع يرجو الله(سبحانه)، فتعلّق قلبه به وآمنَ به، ويرجو اليوم الآخر وتعلّق قلبه به، فعمل صالحاً.

ولتوضيح المقصود، نقول: إنَّ المسلم على قسمين: مسلم عند الناس لا عند الله(سبحانه) وهو الذي يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، ولو أنّه يعصي الله ورسوله، إلاّ أنّه يعامل معاملة المسلم في الدنيا من حيث الزواج، مثلاً أو الأرث وما إليهما.. ومسلم يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، ويطيع الله ورسوله، فهذا يعامل معاملة المسلم في الدنيا والآخرة، فمعاملة المسلم في هذه الحياة كمسلم

شيء، واعتباره مسلماً عند الله وفي يوم الحساب شيء آخر.

قال تعالى في سورة الأحقاف/آية/35:-

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾

الخطاب للنبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولنا فيه أسوة حسنة، والمعنى: فاصبر على جحود هؤلاء الكفار والمنافقين وعدم إيمانهم واعتقادهم بالرسالات وباليوم الآخر، كما صبرَ أولو العزم من الرسل، وأولو العزم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، على نبيّنا وآله وعليهم الصلاة والسلام، ولقد كان لكل واحد من هؤلاء الأنبياء، شريعة خاصة، أوجبَ الله(سبحانه) العمل بها على جميع خلقه إلى عهد يليه من الخمسة، فتنسخ اللاحقة الشريعة السابقة إلى شريعة سيد المرسلين، وخاتم النبيين، محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنّها ناسخة غير منسوخة إلى يوم القيامة.

وأما بقية الأنبياء، فقد كان كل واحد منهم يعمل ويبلّغ بشريعة من تقدمه من أولي العزم.

قال تعالى في سورة الصف/آية/14:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾

الخطاب موجّه للمؤمنين، بأن يكونوا أنصار الله، ومعنى نصرة الله، هو نصرة نبيّه، بالإيمان به ونشر دعوته وإعلاء كلمته والاقتداء بسيرته وامتثال أوامره وطاعته فيما يأمر وينهى. كما كان الحواريون –وهم خاصة الرجل– أنصاراً لله بنصرة نبيّه عيسى بن مريم في اتّباعه في سلوكه في سبيل اللهﷻ وتوجّهه إلى الله وجهاده في سبيله.

الاعتدال:

قال تعالى في سورة الإسراء/آية/110:-

﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَينَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾

الجهر والإخفات وصفان يتصف بهما الصوت، ويمكن أن يعتبر بينهما خصلة ثالثة، هي بالنسبة إلى الجهر إخفات وبالنسبة إلى الإخفات جهر.. فيكون الجهر: هو المبالغة في رفع الصوت، والإخفات: هو المبالغة في خفضه، وما بينهما هو الاعتدال.

فيكون المعنى: لا تبالغ في الجهر في صلاتك الجهرية، كالصبح والمغرب والعشاء، ولا تبالغ في الإخفات في صلاتك الإخفاتية كالظهر والعصر، بل اسلك سبيل الاعتدال عند الجهر والإخفات.

وأما إذا كان اللام في الصلاة للجنس، كان المعنى: لا تجهر في صلواتك كلها ولا تخافت فيها كلها، بل اتخذ سبيلاً وسطاً تجهر في بعض وتخافت في بعض، تجهر في الصبح والمغرب والعشاء وتخافت في غيرها.. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال في تفسير الآية:-

﴿الجهر بها رفْع الصوت والمُخافتة ما لم تسمع أذنيك، واقرأ قراءة بينهما﴾

قال تعالى في سورة الإسراء/آية/29:-

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومَاً مَحْسُوراً﴾

هذا هو معنى الاعتدال، وإنَّ التعادل والتوازن أساس كل شيء في الإسلام، عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، فلا رهبانية ولا اندفاع وراء الشهوات، ولا إسراف، ولا تقتير، ولا تهوّر، ولا جبن.

فإنَّ الأوامر الإسلامية بكل أقسامها مبنية على أساس نظام معين موافق مع الحكمة والمصلحة، كما في قوله تعالى في سورة الرعد/آية/8:-

﴿وَكُلَّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

فلا إفراط ولا تفريط، فكل شيء له حدود معينة عند الله وفي الشريعة الإسلامية، وعلى الإنسان أن لا يتجاوزها، ويقف عندها ولا يتعداها، وذلك مثلاً: كحدود الملكية، فحدّها عدم الإضرار بالأفراد والجماعة، وحدود الإنفاق وحده عدم التقتير والإسراف،

وهكذا سائر الأفعال.

وقد عبّر سبحانه في الآية الكريمة، بغلّ اليد كناية عن التقتير والإمساك والبخل، كمن لا يعطي شيئاً لبخله وشحّ نفسه، وعبّرَ ببسط اليد كل البسط، كناية عن إنفاق الإنسان كل ما عنده وما في حوزته بحيث لا يبقى له شيء، ففي الآية نهي بالغ شديد عن التفريط والإفراط في الإنفاق، وخير الأمور الوسط.

قال تعالى في سورة الفرقان/آية/67:-

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

لا إفراط ولا تفريط، لا إسراف يصلون معه إلى حدّ التبذير والبذخ، ولا إقتار وتضييق يصلون به إلى الحاجة والفاقة، وإنّما بين ذلك قواماً وهو الوسط والاعتدال.. قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام:-

﴿أربعة لا يستجاب لهم دعوة:-

-رجل فاتح فاه جالس في بيته فيقول: يا ربّ ارزقني، فيقول له: ألم آمرك بالطلب.

-ورجل كانت له امرأة يدعو عليها يقول: يا ربّ أرحني منها، فيقول له: ألم أجعل أمرها بيدك.

-ورجل كان له مال فأفسده فيقول: يا ربّ ارزقني، فيقول: ألم آمرك بالاقتصاد.

-ورجل كان له مال، فأدانه بغير بيّنة، فيقول: ألم آمرك بالشهادة﴾

قال تعالى في سورة الرحمن/آية/9:-

﴿أَلاَّ تَطْغَوا فِي الْمِيْزَانِ وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾

تنهى الآية الكريمة عن الطغيان والاعتداء والنهب والسلب، وعدم تجاوز الحقّ والعدل، إلى البخس والباطل، وتأمر بالقسط الذي هو ترك الاعتداء بكل صوره وأنواعه،

فتؤدي ما عليك ولا تأخذ أكثر من حقّك، وبهذا يقوم المجتمع وتسعد الحياة، وهذا هو الاعتدال الذي فرضَهُ الإسلام.

الأعمال الصالحة:

قال تعالى في سورة هود/آية/7:-

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

تشير الآية الكريمة أولاً إلى خَلْق السموات والأرض في ستة أيام، بمعنى: أنَّ الله(سبحانه) خَلَقها على ست مراحل، ليكون لكل شيء حدّ محدود، ووقت مقدّر، أو أنَّ الأيام كناية عن الأطوار، وأنّه سبحانه لم يخلق الكون ابتداءاً كما هو عليه الآن، بل انتقل بخلقه من طور إلى طور وفقاً لنظرية النشوء والارتقاء، حتى الطور الأخير الذي نراه الآن.

وتشير الآية ثانية إلى العرش وأنّه كان على الماء، والمراد بعرش الله هو ملكه واستيلاؤه.

وتدل الآية على أنَّ الماء كان موجوداً قبل خلْق السموات والأرض.. والآية ككل تشير إلى أنَّ الله(سبحانه) خَلَقَ السموات والأرض ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً، أيّكم أكثر التزاماً، وأقوم سلوكاً، ومن الواضح أنَّ البلاء والامتحان أمر مقصود لغيره، أي لمسألة أخرى.

والمسألة الأخرى هي تمييز الجيد من الرديء والحسن من القبيح، وكذلك الحسنة والسيئة، إنّما يراد تمييزها لأجل ما يترتب عليهما الجزاء، وكذلك الجزاء إنّما يراد لأجل ما فيه من إنجاز الوعد الحقّ، ولذلك نجده سبحانه يذكر كل واحد من هذه الأمور المترتبة غاية للخلقة.

فقال تعالى في كون الابتلاء للخلقة في سورة الكهف/آية/7:-

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِيْنَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

وقال في معنى التمييز والتمحيص في سورة الأنفال/آية/37:-

﴿لِيَمِيْزَ اللهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

وقال في خصوص الجزاء في سورة الجاثية/آية/22:-

﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلْتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُوْنَ﴾

وقال في كون الإعادة لإنجاز الوعد كما في سورة الأنبياء/آية/104:-

﴿كَمَا بَدَأنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيْدُهُ وَعْدَاً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِيْنَ﴾

ومن المعلوم بأنَّ جعل العمل الصالح غاية للخلقة لا ينافي اشتمال الخلقة على غايات أخرى، والعمل الصالح هو امتثال الله(تعالى) بأوامره ونواهيه بكل ما يأمر به ويرشد إليه.

قال تعالى في سورة الملك/آية/2:-

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

تبيّن الآية الكريمة غاية خلقه تعالى، الموت والحياة، أو الحكمة من الحياة في الدنيا ثم الموت ومن ثم البعث والنشور.. هي أن تظهر أفعال الإنسان في هذه الحياة الدنيا، ويثاب عليها أو يعاقب في آخرته.

وفي الحديث الشريف، أنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حين تلا هذه الآية، فسّرها بقول:-

﴿أَيُّكُم أَحسن عقلا، وأورع عن محارم الله، وأسرع إلى طاعته﴾

التنافس:

قال تعالى في سورة البقرة/آية/148:-

﴿وَلِكُلّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعَاً إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٍ﴾

وقال تعالى في سورة المائدة/آية/48:-

﴿وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعَاً فَيُنَبِّؤُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

تشير الآيتان الكريمتان وترشد إلى المسارعة إلى الخيرات والاستباق إليها، والانصراف إلى عمل الخير، والمبادرة إليه، والتنافس على الطاعة وامتثال أوامر اللهﷻ..

ثم تشير الآيتان إلى أنَّ مرجعكم غداً إليه سبحانه، وعند ذلك يثيب المحقّ المحسن، ويعاقب المبطل المسيء، فهو وعد بالثواب لأهل الطاعة، ووعيد بالعقاب لأهل المعصية.

حسن الاستماع والاتباع:

قال تعالى في سورة الزمر/آية/(17-18):-

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ أُوْلئِكَ الَّذِيْنَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

من الواضح أنَّ المراد بحُسن القول، ليس حُسن الكلمات وجمال الألفاظ وفصاحة الأسلوب، بل المراد به ما ينفع دنياً وآخرةً، فإن كان مضرّاً فهو قبيح وإن كان جميلاً بأسلوبه وألفاظه.

فالمقصود بالآية الشريفة الاستماع إلى القول والأخذ بأحسنه وأرشده إلى الحقّ والصواب، وأما وصف الأحسن فهو نسبي، فالقصاص بالمثل ممن اعتدى عليك حقّ،

ولكن العفو أحسن من القصاص، والصدقة بإبدائها وإخفائها حسنة، إلاّ أنَّ إخفاءها أحسن، وردّ التحية بمثلها حسن، والردّ بخير منها أحسن، وقول الله ﷻ أحسن من كل قول، ولا شيء منه تعالى أحسن من شيء، لأنَّ الأشياء بالنسبة إليه سواء، فالذين يستمعون قول الله(سبحانه) ويعملون به هم المهتدون عند الله إلى معرفة الأحسن، والآخذون بالحقِّ دون الباطل وباللباب دون القشور.

وفي نهج البلاغة:-

﴿أفيضوا في ذكر الله فإنّه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقين، فإنَّ وعده أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهدي، واستنّوا بسنّته فإنّها أهدى السنن، وتعلموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنّه ربيع القلوب﴾

إخلاص السرائر:

قال تعالى في سورة البقرة/آية/272:-

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾

تشير الآية الكريمة إلى وجوب صدق النية وإخلاص السريرة في كل قول وفعل، وعدم الإنفاق إلاّ ابتغاء وجه الله ﷻ وطلب رضوانه.

فإذا كان العطاء والبذل والإنفاق بهذا الشكل من النية الصادقة وقصد التقرب إلى الله ﷻ وابتغاء مرضاته، فهو يقبلها بشرط أن لا تكون مع المنِّ والأذى، ويثيب عليها، فالمحور في كل الأعمال هو إخلاص السريرة وابتغاء وجه الله(سبحانه).

قال تعالى في سورة النساء/آية/114:-

﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلَكَ ابْتِغَاءَ مَرْضاةِ اللهِ فَسَوفَ نُؤتِيهِ أَجْرَاً عَظِيمَاً ﴾

تشير الآية الكريمة إلى بعض الأعمال الصالحة مثل الصدقة وبذل المال إلى الفقراء والمعوزين والمحتاجين، والمعروف وهو كل ما يعترف العقل والشرع بحسنه وفائدته.

فكل الأعمال الحسنة من المعروف التي منها الصدقة، وإصلاح ذات البين تشير الآية إليه، وخصّهما الله(سبحانه) بالذكر للتنبيه على أهميتهما.

قال الرازي:-

((إنَّ مجامع الخيرات مذكورة في هذه الآية))

ويبيّن الله(سبحانه) بأنَّ هذه الأعمال الصالحة، وكل الأعمال لابد أن تكون في طلب رضا الله ﷻ بإخلاص النيّة والسريرة إليه وحده لا شريك له، فإذا كانت بهذه الصورة من إخلاص السريرة وصفاء النيّة، فإنَّ الله سيعطيه أجراً عظيماً وثواباً كثيراً.

-الفصل الثاني

النـواهـي

إلقاء النفس بالتهلكة:

قال تعالى في سورة البقرة/آية/195:-

﴿وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيْلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوْا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ﴾

تشير الآية الكريمة.. إلى وجوب الإنفاق في سبيله تعالى، والإنفاق يشمل جميع المصالح العامة، كالإنفاق في الجهاد والصدقات إلى الفقراء والمساكين، والإنفاق على الأهل والأولاد، والإنفاق على المدارس ودور الأيتام وما شابه ذلك.

وبعد ذلك تعطي الآية قاعدة عامة، بحرمة إلقاء الإنسان نفسه بالتهلكة، وقد عبّر سبحانه بالأيدي عن الأنفس.

وقد قيل في قوله: ﴿وَلاَ تُلْقُوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بأن أنفقوا من أموالكم إنفاقاً لا تقتير فيه، ولا إسراف، فإنَّ كُلاً منهما يؤدي إلى التهلكة، إلاّ أنَّ الكلام مطلق أُريدَ به النهي عن كل ما يوجب الهلاك.

قال تعالى في سورة النساء/آية/29:-

﴿وَلاَ تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمَاً﴾

في الآية الشريفة، أربعة أقوال:-

-الأول: إنَّ المقصود في الآية.. نهي الإنسان عن الانتحار، وعن قتل نفسه في حال الغضب والضجر، ففي الفقيه، أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال:-

﴿من قتلَ نفسه متعمداً، فهو في نار جهنم خالداً فيها.. قال الله(تعالى): وَلاَ تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمَاً وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانَاً وَظُلْمَاً فَسَوْفَ نُصْلِيْهِ نَارَاً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرَاً﴾

-الثاني: إنَّ معنى الآية هو:-

أن لا يقتل بعضكم بعضاً، لأنكم أهل دين واحد وأنتم كنفس واحدة، وفيه إشعار بوحدة الإنسانية وتكافلها، وأنَّ جميع نفوس المجتمع كنفس واحدة، فلو قتلَ نفسه أو قتل غيره فقد قتلَ نفسه.. وفي الحديث الشريف:-

﴿المؤمنون كنفس واحدة﴾

-الثالث: إنَّ معنى: ﴿لاَ تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي لا تهلكوها بفعل المعاصي التي تستحقّون بها بالعذاب والعقاب.

-الرابع: إنَّ معنى: ﴿لاَ تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي لا تخاطروا بنفوسكم في القتال، فتقاتلون من لا تطيقون من الأعداء والمشركين والكفار.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:-

﴿وَلاَ تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ، عنى بذلك الرجل من المسلمين يشدُّ على المشركين وحده يجيء في منازلهم فيُقتل، فنهاهم الله عن ذلك﴾

الكـذب:

قال تعالى في سورة النحل/آية/105:-

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الكَاذِبُوْنَ﴾

نهي صريح عن الكذب في الآية المباركة، وقد قرنَ الله ﷻ الكذب في هذه الآية بعدم الإيمان به..

ومعنى عدم الإيمان به هو: عدم الإيمان بالبعث والنشور والحساب والثواب والعقاب وعدم الإيمان بجميع آياته، فإنَّ من طبيعة الكذاب أن يكون قريباً من المفاسد جريئاً على الآثام والموبقات والجرائم، ذلك أنّه لا يخشى حساباً ولا يخاف عقاباً على الكذب، ولا يرجو خيراً ولا ثواباً على الصدق، لأنّه لا يؤمن بالله العليّ القدير.

وقد يقال أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ﴾ معناه أنَّ الكذب منحصر بالكافرين، مع أنَّ بعض الكافرين أصدق في قولهم من بعض المؤمنين بالله!!...

ولكن الجواب على هذا القول هو: إنَّ المسلم الكاذب مؤمن بالله نظرياً وكافر عملياً، فبوصفه مؤمن نظرياً يعامل في الدنيا معاملة المسلم، وبوصفه كافر عملياً يعامل في الآخرة معاملة الكافر.. قال تعالى في سورة الحج/آية/30:-

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ ﴾

فهي واضحة عن شهادة الزور، التي هي من أنواع الكذب، والتي يترتب عليها افدح المفاسد وأقبح الشرور، وأخطر المشاكل التي تودي بالأنفس والأرواح، وتقضي بنشر الفوضى، وضياع الحقوق.

وقد قرنَ سبحانه النهي عن الكذب بشهادة الزور، بعد النهي عن الرجس من الأوثان الذي هو الإشراك بالله ﷻ.

وقد روي أنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قام خطيباً، فقال:-

﴿أيّها الناس، عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله، ثم قرأ قوله تعالى: فَاجْتَنِبُوا الرِجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ﴾

وقد ورد عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) ما يدل على أنَّ الكذب من الكبائر، حيث قال:-

﴿ألا أخبركم بأكبر الكبائر، الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور – أي الكذب﴾

ولقد أمرنا الإسلام بترك الكذب، سواء كان بالجدّ أو الهزل، فلقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويلٌ له ويلٌ له﴾

وقال أمير المؤمنين(عليه السلام):-

﴿لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه﴾

وقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿إيّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار﴾

وهكذا يتضح لنا.. أنَّ الكذب موجب لكل المنكرات والرذائل والآثام والمفاسد، التي عبّرَ عنها النبيّ الأعظم بالفجور، ومن الواضح أنَّ مصير الفاجر هو العذاب والنار والسعير، جهنم وبئس المصير.

النفـاق:

قال تعالى في سورة التوبة/آية/(67–68):-

﴿وَالْمُنَافِقُوْنَ وَالْمُنَافِقَاتِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُوْنَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوْفِ وَيَقْبِضُوْنَ أَيْدِيهِمْ نَسُوْا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَ

وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا هَيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيْمٌ﴾

تشير الآية الكريمة إلى طبيعة المنافقين والمنافقات الذين هم من طينة واحدة وطبيعة واحدة، بأن يأمرون بالمنكر الذي هو الكفر والنفاق والخروج عن طاعة الله(سبحانه)، وينهون عن المعروف الذي هو الإيمان بالله ﷻ والاعتقاد بالجنّة والنار والحساب والثواب والعقاب وطاعة الله ورسوله.

ولذلك قبضوا أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله، لعدم إيمانهم ونسوا الله بتركهم لطاعته.. كذلك نساهم الله بحرمانهم من رحمته، وأعدَّ لهم نار جهنم خالدين فيها ولهم عذاب مقيم جزاءاً على أعمالهم في الحياة الدنيا، لا يخفّف عنهم أبداً.

قال تعالى في سورة البقرة/آية/(204–207):–

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادِ وَإِذَا قِيْلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

تشير الآية الكريمة إلى المنافق الذي يُستحسن كلامه حيث يقول: إنّي قد آمنت بالله ورسوله وبكل ما جاء به الرسول، ويشهد الله ﷻ على ذلك ويحلف به على صدق قوله، ولكنه هو ألدّ الخصام، بمعنى أنّه أشدّ الناس خصومة لله ورسوله وللإسلام وأهله.

ثم بيّن تعالى صفة من صفات المنافقين، وهي الاعتزاز بالإثم والمعصية وعدم قبول النقد والنصيحة، وعند ذلك يكون عقابه جهنم خالداً فيها ولبئس المهاد.

وفي الدرّ المنثور في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ﴾ أنّها نزلت في الأخنس بن شُريق الثقفي حليف لِبَني زهرة، أقبلَ إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في

المدينة وقال: جئتُ أُؤيد الإسلام ويعلم الله أنّي لصادق، فاعجب النبيّ ذلك منه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ ثم خرجَ من عند النبيّ، فمرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرقَ الزرع وعقرَ الحمر، فأنزلَ الله(تعالى) كما جاء في سورة البقرة/آية/205:-

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادِ﴾

أفعال تناقض الأقوال:

قال تعالى في سورة الصف/آية/(2-3):-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتَاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقْوُلُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾

الخطاب موجّه إلى أولئك الذين يظهرون الإيمان ولا يبطنونه، أو إلى المؤمنين ظاهراً، الذين يقولون شيئاً ولا يفعلونه، وهذا عمل كثير من الناس، فإنّهم يتعمّدون الكذب والخداع والدجل، فيتصرفون في السرّ والخفاء بغير ما يبدونه علانية وجهرة، وهذا هو النفاق بعينه.

ومن الناس من يقول ويعد بنية الصدق والوفاء، ولكن تمنعه ظروف معينة، فيعجز عن الوفاء مع ما بذل من جهد، وهذا معذور.

ومن الناس من يقول ويعد بنية الوفاء، ولكن إذا جاء وقت التنفيذ والعمل وتهيأت له الأسباب، تراجعَ وألغى إرادته كسلاً أو بخلاً، وهذا الشخص مؤمن، ولكنه مؤمن متهاون ضعيف في إرادته وأمام نفسه الأمّارة بالسوء.

وقال كثير من المفسرين: إنَّ جماعة من الصحابة كانوا قبل أن تتهيأ أسباب الأمر

بالقتال يتمنون أن يفرض عليهم، فلما تهيأت أسبابه وفرض عليهم تثاقل فريق منهم، فنزلت فيهم هذه الآية.

قال في سورة البقرة/آية/44:-

﴿أَتَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعقِلُونَ﴾

تشير الآية الكريمة إلى أولئك الذين يأمرون الناس بطاعة اللهﷻ وامتثال أوامره وهم يخالفونه ويعصون أوامره.

وروى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله):-

﴿مررتُ ليلة أُسريَ بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟..

فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا، ممن كانوا يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم﴾

وقيل إنَّ الآية موجّهة إلى الأحبار من اليهود يأمرون الناس بالإيمان بمحمد إذا بُعِثَ، فلما بُعِثَ كفروا به، أو الذين كانوا يقولون للمسلمين: اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان بمحمد، ولا يؤمنون هم.

قال الشاعر:-

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

البخـل:

قال تعالى في سورة النساء/آية/37:-

﴿الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ وَيَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالبُخْلِ وَيَكْتِمُوْنَ مَا آتَاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابَاً مُهِيْنَاً﴾

الآية موجهة إلى البخلاء، الذين يمنعون ما أوجب الله(سبحانه) عليهم من الإنفاق والحقوق الشرعية، والذين يأمرون غيرهم بذلك، لأنَّ كل مسيء يود أن يكون جميع الناس مسيئون حتى يجد أقراناً وأمثالاً، والذين يكتمون ويتسترون على ما آتاهم اللهﷻ من الثروة واليسار اعتذاراً لهم في البخل.

وبعد ذلك هدّد سبحانه البخيل والذي يأمر غيره بالبخل، الذي كفر بنعمة الله(تعالى)، بالعذاب المهين والخزي والنار.

قال تعالى في سورة آل عمران/آية/180:-

﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرَاً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

المقصود في الآية الكريمة أولئك الأشخاص الذين يمتنعون عن إعطاء الحقوق الشرعية من الزكاة والخُمس والبخل بدفعها، هؤلاء يتصورون أنَّ البخل هو خير لهم، ولكن الواقع هو شرّ لهم، وليس كما يظنون.

ولذلك تشير الآية ﴿سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ هذا تفسير لقوله ﴿هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ والتطويق هنا كناية عن شدة العذاب والعقاب.

قال تعالى في سورة البقرة/آية/268:-

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾

حذّرَ تعالى في الآية الشريفة، من الشيطان الذي يأمر بالبخل ويمنع من الصدقة والإنفاق، ومعنى وعدَ الشيطان بالفقر، أن يحرّض بالوسوسة على الحرص والبخل والشحّ، وأن يخوّف من الإنفاق بأن يؤدي إلى الفقر وسوء الحال.

ومعنى أمره بالفحشاء، أن يغري بوسوسته بارتكاب المعاصي، وترك الطاعات ومنها البخل والشحّ.

نعم، هذا هو سبيل الشيطان الذي يناقض دائماً سبيل الرحمن، فإنَّ الله(سبحانه) وعدَ الذي ينفق الحسن من ماله، رجاءاً لمرضاته سبحانه بأمرين:-

الأول:- تكفير كثير من الخطايا... قال تعالى في سورة التوبة/آية/103:-

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرَهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

الثاني:- أن يُعطى المنفق خيراً مما أنفقَ.. قال تعالى في سورة سبأ/آية/39:-

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ﴾

قال أمير المؤمنين(عليه السلام):-

﴿الصدقة دواء منجح، استنزلوا الرزق بالصدقة، تاجروا الله بالصدقة﴾

قال تعالى في سورة محمد/آية/38:-

﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلْ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَلَى نَفْسِهِ وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾

تشير الآية الكريمة إلى أقصى مراتب البخل وهو البخل على النفس.. والمعنى أنَّ البخيل ببخله وشحّته وعدم إنفاقه يحرم نفسه من الثواب الجسيم والأجر العظيم، ويلزمها عقوبة عظيمة وعذاب شديد.

فالمعطي هو أحوج إلى الإعطاء من الفقير الآخذ، لأنّه يجلب بهذا العطاء الرحمة ويدفع عنه النقمة.. فإنَّ الله هو الغنيّ عن أموالكم وأنتم الفقراء إلى ما عنده من الخير والرحمة، فهو لا يأمركم بالإنفاق لحاجته وهو الغنيّ، ولكن لتنتفعوا به في الآخرة.. وعن

الإمام الصادق عن آبائه(عليهم السلام):-

﴿إنَّ أمير المؤمنين سمع رجلاً يقول: إنَّ الشحيحّ أعذر من الظالم.. فقال: كذبت، إنَّ الظالم قد يتوب ويستغفر، ويردّ الظلامة عن أهلها، والشحيح إذا شحّ، منع الزكاة، والصدقة، وصلة الرحم، وقرى الضيف، والنفقة في سبيل الله(تعالى)، وأبواب البرّ، وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح﴾

-الوافي-

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:-

﴿عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إيّاه طلبَ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء﴾

-نهج البلاغة-

وعن الإمام جعفر بن محمد عن آبائه(عليهم السلام)، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس قريب من النار﴾

-البحار-

الإسـراف:

قال تعالى في سورة الإسراء/آية/(26-27):-

﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيْرَاً إِنَّ الْمُبَذِّرِيْنَ كَانُوْا إِخْوَانَ الشَّيَاطِيْنِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوْرَاً﴾

نهي عن التبذير، والتبذير هو إنفاق المال في غير وجهه، وجعله في غير مكانه وموضعه، فإنَّ كل من أنفقَ شيئاً من ماله في موضع يعود عليه بالضرر، أولا يعود عليه بأي منفعة، فهو مسرف، وهذا الشخص يصدق عليه مبذّر وسفيه عرفاً وشرعاً.

وقد عبّر سبحانه عن المبذرين بإخوان الشياطين، وذلك لأنَّ التبذير مذموم ومكروه عند اللهﷻ وكل ما هو مكروه عند الله محبوب عند الشيطان.

وفي تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سألتُ أبا عبدالله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيْرَاً﴾، قال:-

﴿من أنفقَ شيئاً في غير طاعة الله، فهو مُبذّر، ومن أنفقَ في سبيل الله فهو مقتصد﴾

الريـاء:

قال تعالى في سورة النساء/آية/38:

﴿وَالَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾

قال تعالى في سورة البقرة/آية/264:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ تُبْطِلُوْا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدَاً لاَ يَقْدِرُوْنَ عَلَى شَيءٍ مِمَّا كَسَبُوْا وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِيْنَ﴾

الكلام في المرائي الذي ينفق ماله رئاء الناس وطلباً للسمعة والجاه، وهو لا يؤمن بالله العليّ القدير.

وقد ضربَ الله(سبحانه) مثلاً في الآية المباركة الثانية، لأصحاب المنّ والأذى

بالمرائي المنافق، ذلك الشخص الذي ينفق ويبذل ماله طلباً لثناء الناس وحدهم، لا رجاءاً لمرضاة الله وابتغاءاً لثوابه.

وتوضّح الآية: إنَّ عمل المرائي وعمل الكافر من شاكلة واحدة لأنَّ كُلاً منهما لا يرجو الثواب ولا يبتغي وجه الله(سبحانه).

ثم شبّه سبحانه، المانّ والمؤذي، بالمنافق المرائي، ثم شبّه سبحانه وتعالى المرائي بصفوان عليه تراب، ومن المعلوم بأنّ شبيه المشبّه شبيه، وعليه يكون كل من المانّ المؤذي والمنافق المرائي كالصفوان، أي الحجر الصلب الأملس الذي يغطيه التراب الخفيف فيحجب صلابته، فما إن يهبط المطر الغزير عليه، فإذا بالتراب يزول ويذهب، وهكذا صدقة المؤذي والمرائي، كالتراب تماماً على الحجر الأملس، والأذى والرياء كالمطر الذي ذهب بالتراب.. قال تعالى في سورة الماعون/آية/(4–7):–

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْنَ الَّذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُوْنَ الَّذِيْنَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُوْنَ الْمَاعُوْنَ ﴾

هذا هو شأن المرائي، السهو عن الصلاة، فإنّه يصلي ولكن رياءاً، وخوفاً من الناس، لا من اللهﷻ، فإنّه يبدي حسن الظاهر ويخفي القبائح والرذائل.. وهذه طبيعة المرائي في كل أعماله وتصرفاته، فإنّه يتقرب بأعماله إلى عباد الله، ويتباعد بها عنه سبحانه وعن مرضاته، حتى الماعون، لا يعيرونه إلاّ رياءاً ونفاقاً، والذي هو من أبسط الأشياء وأتفه الأمور.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):–

﴿سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياءاً، لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم﴾

–الكافي–

قال تعالى في سورة النساء/آية/142:-

﴿يُرَاءُوْنَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُوْنَ اللهَ إِلاَّ قَلِيْلاً﴾

تشير الآية الكريمة إلى صفة من صفات المرائي، والصفة هي: عدم ذكره لله(سبحانه) إلاّ بين الناس وحين يراه الناس، فهو يذكر الله لأجل الناس، لا لأجل الله، ولهذا إذا انفردَ وحده فلا يذكر الله شيئاً.

قال أمير المؤمنين(عليه السلام):-

﴿ثلاث علامات للمرائي: ينشط إذا رأى الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويحبّ أن يُحمدَ في جميع أموره ﴾

-الكافي-

قال تعالى في سورة الكهف/آية/110:-

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحَاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادِةِ رَبِّهِ أَحَدَاً﴾

جاء في تفسير هذه الآية المباركة، عن الإمام الصادق(عليه السلام)، أنّه قال:-

﴿الرجل يعمل شيئاً من الثواب، لا يطلب به وجه الله، إنّما يطلب تزكية الناس، يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه ﴾

ثم قال:-

﴿وما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يستر شرّاً فذهبت الأيام حتى يظهر الله له شرّاً﴾

-الكافي-

وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر..

قالوا: وما الشرك الأصغر؟..

قال: الرياء، يقول الله ﷻ يوم القيامة للمرائين، إذا جازى العباد بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ﴾

الاختيـال:

قال تعالى في سورة لقمان/آية/18:-

﴿وَلا تَمشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

تنهى الآية الكريمة عن المشي في الأرض مرحاً، الذي بيّن سبحانه معناه، بأنّه المشي باختيال وفخر.

والاختيال: هو الزهو، والفخر: هو المباهاة على الناس، ومن المعلوم بأنَّ لا شيء أدلّ على الجهل، وأوضح على النقص من هذه الصفات.

قال تعالى في سورة الإسراء/آية/37:-

﴿وَلا تَمشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلاً﴾

تنهى الآية الشريفة عن المرح والبطر والخيلاء في المشي، وتنهى الآية عن الفخر والاختيال.

ثم تشير الآية إلى ضعف الإنسان واستعظام الإنسان نفسه أكثر مما هو عليه وعجزه وأنّه أضعف من أن يبلغ ما يريد بالجاه والمال، فإنّك أيها الإنسان لا تشقّ الأرض من تحت قدمك، بزهوّك وفرحك وتكبّرك، ولن تبلغ الجبال بتطاولك وعلّوك.

التكبّر:

قال تعالى في سورة لقمان/آية/18:-

﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾

التصعّر: هو الكبر والتكبّر وهما معنىً واحداً، وتنهى الآية الشريفة عنه، والمعنى: لا تمل بوجهك عن الناس، ولا تعرض عنهم تكبّراً واستعلاءاً، بل أقبل عليهم، وتواضع لهم.

وقد جاء في تفسير هذه الآية، عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام، أنّه قال:-

﴿أي ولا تمل بوجهك عن الناس بكلّ ولا تُعرض عن من يُكلمك استخفافاً به﴾

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً:-

﴿ما من رجلٍ تَكبّرَ أو تَجبّر إلاّ لِذلّةٍ وجدها في نفسه﴾

قال تعالى في سورة النحل/آية/23:-

﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِينَ﴾

وكيف يحبُّ الله(سبحانه) المتكبرين، العاصين لله بتكبرهم، المتعظّمين الذين يأنفون أن يكونوا أتباعاً للحقّ، ويأبون من التواضع واللين!!.. فالله(سبحانه) لا يحبهم، ويعاقبهم بما يستحقّون من العقاب، لتكبّرهم واستنكافهم.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال:-

﴿جاء رجل موسر إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) نقي الثوب، فجلس إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فجاء رجل مُعسر، درن الثوب، فجلس إلى جَنْبِ المُوسر، فقبضَ المُوسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله):-

-أَخِفْتَ أن يَمَسَّكَ من فَقْرِهِ شيء؟..

قال:- لا..

قال:– فَخَفْتَ أن يوَسّخَ ثيابك؟..

قال:– لا..

قال:– فما حَمَلَكَ على ما صنعتْ؟..

فقال:– يا رسول الله، إنَّ لي قريناً يُزَيّنُ لي كل قبيح ويُقَبّحُ لي كل حسن، وقد جعلتُ له نصف مالي!..

فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) للمُعسر:– أتقبل؟.. قال:– لا!..

فقال له الرجل:– لِمَ؟..

قال المُعسر:– أخافُ أن يدخلني ما دخلك﴾

قال تعالى في سورة الزمر/آية/60:–

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً للمُتَكَبِرِينَ﴾

نعم، هذا هو عقاب المتكبرين، فتكون جهنم مثوىً لهم، والنار جزاءهم لتكبّرهم وجحودهم ومخالفتهم لله(سبحانه).

ورُوِيَ عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده(عليهم السلام) قال:–

﴿وقعَ بين سلمان الفارسي وبين رجل كلام وخصومة، فقال له الرجل:– من أنت يا سلمان؟.. فقال سلمان:–أمّا أَوّلي، فنطفة قذرة.. وأمّا آخري وآخرك، فجيفة منتنة، فإذا كان يوم القيامة، ووضعت الموازين، فمن ثقلَ ميزانه، فهو الكريم، ومن خفَّ ميزانه، فهو اللئيم ﴾

–البحار–

التكبّر جنون:

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:–

﴿مرَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على جماعة، فقال:– على ما اجتمعتم؟.. فقالوا:–يا رسول الله، هذا مجنون يصرَع، فاجتمعنا عليه..

فقال:–

ليس هذا بمجنون ولكنَّه المبتلى!.. ثم قال:– ألا أُخبركم بالمجنون حقَّ الجنون؟..

قالوا:–بلى يا رسول الله..

قال:– المتبختر في مشيه، الناظر في عِطفيهِ، المحرِّك جَنبيهِ بمِنكبيهِ، يتمنّى على الله جنّتهُ وهو يعصيه، الذي لا يؤمن شره ولا يُرجى خيرهُ، فذلك المجنون وهذا المبتلى﴾

–الكافي–

العجب والتنفّخ:

قال تعالى في سورة النساء/آية/49:–

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾

هذا هو العجب أن يزكّي الإنسان نفسه، فهو يشهد لنفسه بنفسه.. والآية تشير إلى أنَّ التزكية لابد أن تكون من الله ﷻ، والله لا يزكي إلاّ من شهدت له أفعاله بالتزكية والصلاح.

وتزكية الإنسان نفسه، أثبت دليل على جهله وغروره، أي لنقصٍ فيه يحاول إخفاءه، ولكن بشهادة غير مقبولة، حتى عند نفسه لا يعلم كذبها.. وروي عن الإمام الباقر عليه السلام:–

﴿ثلاثة هنَّ قاصمات للظهر، رجل استكثر عمله، ونسي ذنبه، وأعجب برأيه﴾

قال تعالى في سورة النجم/آية/32:–

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

إنَّ اللهﷻ أعلم بالإنسان من نفسه، بالغ ما بلغ من العلم.. ومن غير الممكن والمستحيل أن يعلم الإنسان من نفسه ما يعلمه الله منه، وذلك لأنَّ الله(سبحانه) هو أحياه وأوجده، وهو الذي يميته وينشره ويحاسبه، فهو معه وبعلمه منذ اللحظة الأولى من تكوينه في بطن أمه إلى النَّفَس الأخير.

فعلى الإنسان أن لا يُزكّي نفسه، ولا يُعجب بنفسه وعمله، وليدع أعماله تُزكّيه وغيره يشهد له بالصلاح.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام:-

﴿أتى عالِم، عابد، فقال له: كيف صلاتك؟.. فقال: مثلي يُسأل عن صلاته، وأنا أعبد الله(تعالى) منذ كذا وكذا!.. قال: فكيف بكاؤك؟.. قال: أبكي حتى أُجري دموعي.. فقال له العالِم: فإنّ ضحكك وأنت خائف خير من بكائك وأنت مُدِلٌّ، إنَّ المُدِلَّ لا يصعد من عمله شيءٌ﴾

التفاخر بالقدرة والمال:

قال تعالى في سورة الكهف/آية/(32-44):-

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَينِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعَاً كِلْتَا الجَنَّتَينِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئَاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرَاً وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرَاً وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدَاً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرَاً مِنْهَا مُنْقَلَبَاً قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ

رَجُلاً لَكِنَّا۠ هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدَاً وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدَاً فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرَاً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانَاً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدَاً زَلَقَاً أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرَاً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبَاً وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهَي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيتَنِي لَمْ أُشْرِك بِرَبِّي أَحَدَاً وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرَاً هُنَالِكَ الوَلايةُ للهِ الحَقّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابَاً وَخَيْرٌ عُقْبَاً ﴾

الآيات الكريمة تشير إلى مُحاورة بين شخصين أحدهما غنيّ كافر والآخر فقير مؤمن، وهكذا كان الأغنياء يتفاخرون على غيرهم من الفقراء بالمال والقدرة، ولهذا قيل بأنَّ قسماً من المشركين كانوا قد اشترطوا على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يطرد المؤمنين الفقراء حتى يُؤمنوا به، أو يُعيّن مجلساً للفقراء ومجلساً للأغنياء حتى لا يجتمعان عند النبيّ(صلوات الله عليه) في مكان واحد، لأنّهم يزعمون أنّهم سادة وأُمراء والناس عبيد لهم وإماء.

والآيات الكريمة تُعطينا صورة واضحة للأغنياء المُتكبّرين في شخصِ رجلٍ غنيّ، وصورة للفقراء المؤمنين في شخصِ رجلٍ فقير لا يملك شيئاً ولكنه يعتزُّ بخالقهِ، والغنيّ يعتزُّ بماله.. فالذي يفتخر بماله و يعتزّ به من دون الله يملك بستانين كبيرين عظيمين فيهما زرع كالحنطة والشعير، وفيهما أشجار كثيرة ومتنوعة كالنخيل والأعناب، وكل بستان تنفجر فيه عيون المياه بأجمل منظر وألْطَفِ صورة ويؤتي ثمره ونتاجه بأحسن ما يكون وفي وقته وأوانه، حبوباً وفاكهة.

أما المؤمن الذي يعتزُّ بخالقه ويفتخر به، فهو لا يملك شيئاً، فقال الكافر للمؤمن في تفاخرٍ وزهوٍ وغرور:-

أنا أكثرُ منك مالاً وولداً وجاهاً، أُنظرْ إلى ما أملك من أشجار وأنهار وزروع وثمار، وهذا هو المُلْك الدائم الباقي الذي يستمر للأولاد والأحفاد، بخلاف الجنة التي تتصورون وجودها وتزعمون بها، أيُّها السُذَّج المساكين.. وهل بعد الموت والفناء جنان ونيران؟.. وعلى فرض وجودها، فسيكون حَظّي من الآخرة أكثر منه في الدنيا، لأنَّ المُترف هنا، مُترفٌ هناك.. فقال المؤمن للكافر زاجراً وموبّخاً له:-

إنَّك تقول هذا كُفْراً بالذي سوَّاك رجلاً، أنت الذي خلقك الله(سبحانه) من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، أما أنا فأؤمن بالله ﷻ وحده ولا أُشرك به أحداً وأحمده وأشكره على هدايته، ولو أنّك من أهل البصيرة والرُشد لآمنتَ به وتواضعتَ له وشكرتَه على نِعَمه وآلائه ولم تأخذك العزّة بالإثم.. وما إن أكملَ المؤمن كلامه حتى غارت الأنهار.. وسقطت الأشجار.. وهلك الزرعَ.. وذهب كل شيء في جنّة الكافر التي كان قد اعتزّ وتفاخر بها وقال: ﴿مَا أَظُنُّ هَذِهِ أَنْ تَبِيدَ أَبَدَاً ﴾.

وبعد أن رأى ما حدث في جنّته من صُنع الله، قال في انكسار وحسرة:-

﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدَاً﴾

والعِبرة من هذه الآيات الشريفة والقصد منها هو: أن يؤمن الإنسان إيماناً واقعياً، قولاً وعملاً: بأن لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وأنّه سبحانه قادر لو كفرَ الإنسان به وبنعمه، أن يحوّل العزّ إلى ذلّ، والغنى إلى فقر، والعافية إلى آلام وأسقام.. فعلى الإنسان أن لا يطغى بقدرته ولا يغترّ بماله وثروته، ويكون مؤمن بالله حقّ الإيمان.

الاغترار والتعلّق بالدنيا:

قال تعالى في سورة الكهف/آية/28:-

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَهُ وَلاَ

تَعْدُ عَينَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

الآية الكريمة تنهى عن التعلّق بالدنيا وبالأشخاص الذين تعلّقوا بها وغرّتهم الحياة الدنيا ونسوا الله والآخرة.

وتأمر الآية بالتعلّق بالصالحين والالتزام بالأتقياء المؤمنين الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي، فهم مداومون على طاعته وامتثال أوامره.

قال الإمام الباقر عليه السلام:-

﴿مثلُ الحريصِ على الدُّنْيَا كمثل دودة القزّ كلما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً﴾

-الوافي-

قال تعالى في سورة الحديد/آية/20:-

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَينَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَامَاً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾

الآية الكريمة تعطي صورة واقعية وواضحة عن الدنيا بما فيها من الزهوّ واللعب واللهوّ، والغرور والكبرياء والتفاخر والخيلاء وتمثل الدنيا بالنبات الذي يغترّ بخضرته ونضارته، وإذا به يصفر بعد حين ويكون بعد ذلك حطاماً وخشباً.

والمثل بعينه ينطبق على الإنسان أيضاً في هذه الحياة الدنيا، فإنّه يخرج إلى الدنيا وينمو ويشتد لحمه ويقوى عظمه، وتراه بعد ذلك تنعكس كل قواه، فيذهب لحمه ويذوب

عظمه ويتغير لونه، ويبقى على هذا المنوال حتى يتحطم ويموت.

وتشير الآية إلى الآخرة، التي هي الحياة الدائمية المستمرة وأنَّ فيها عذاباً شديداً للعصاة المجرمين، وفيها خير ومغفرة ورضوان للمؤمنين الأتقياء الصالحين.. تختم الآية بقوله:

﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ فقد نقل الرازي عن الصحابي الجليل سعيد بن جبير، أنّه قال عند تفسير هذه الآية:-

﴿الدُّنْيَا متاع الغرور إذا ألْهَتك عن طلب الآخرة، أما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة، فَنِعْمَ المتاع ونِعْمَ الوسيلة﴾

قال تعالى في سورة النازعات/آية/(37-41):-

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنيا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَى﴾

الآية الشريفة تشير إلى أنَّ من آثرَ الحياة الدنيا وتعلّق وتمسّك بها واغترّ بما فيها، ونسى الله والآخرة فقد طغى وعصى، فلابد أن يكون جزاؤه النار والعذاب والعقاب والجحيم مخلّداً فيها، على عكس المتقين فإنَّ الجنة لهم هي المقرّ والمأوى.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:-

﴿إنَّما الدنيا فناء وعناء وغِيَرٌ وعبر، فمن فنائها أنّك ترى الدهر موتراً قوسه، مفوّقاً نبله، لا تخطئ سهامه، ولا يشفى جراحه، يرمي الصحيح بالسقم، والحيّ بالموت، ومن عنائها: أنَّ المرء يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن، ثم يخرج إلى الله لا مالاً حملَ ولا بناءاً نقل.

ومن غِيَرِها: أنَّك ترى المغبوط مرحوماً، والمرحوم مغبوطاً، ليس بينهم إلاّ نعيم زلّ وبؤس نزلَ.

ومن عِبَرِها: أنَّ المرء يشرف على أمله، فيتخطّفه أجله، فلا أمل مدرك، ولا مؤمل متروك﴾

الدنيا والآخرة:

قال تعالى في سورة القصص/آية/77:-

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾

الآية تشير إلى كيفية الجمع بين الدنيا والآخرة، فتقول: اعمل ما أعطاك الله(سبحانه) من صحة وعقل ومال، في طلب الآخرة ولوجه الله ورضوانه، واجتهد في ذلك.

إلاَّ أنّه لا تترك ما أنت في حاجة إليه، لحياتك ومتعتك، وذلك في ضمن الأمور الجائزة والمحلّلة.

فكُلْ ما أردت من الطيبات، والبس ما شئت من الملابس واسكن ما أعجبك من الدُّور، ولكن على حساب جهدك وتعبك وكدّك، ومن المال الحلال الطيّب، لا على حساب الآخرين، وبذلك تجمع بين الدنيا والآخرة.

ويقول الإمام أمير المؤمنين(عليه الصلاة والسلام):-

﴿اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً وإعمل لآخِرَتك كأنّك تموت غداً ﴾

وهو القائل أيضاً:-

﴿ليس منا مَن تركَ آخرته لدنياه، وليس منا مَن ترك دنياه لآخرته﴾

الحسـد:

قال تعالى في سورة النساء/آية/54:-

﴿أَمْ يَحْسِدُوْنَ النَّاسَ عَلىَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

الآية الكريمة تشير إلى صفة من صفات اليهود، وهي الحسد، والمقصود في الآية، بالناس، هو محمد وآله(صلوات الله عليهم) ومن معه من المؤمنين.

فقد حسدوا النبيّ على نبوّته، وحسدوا آله على الإمامة، وحسدوا المؤمنين الذين معه على ما أفاء الله عليهم من دين الحقّ والتمكّن في الأرض.

قال الإمام الصادقعليه السلام في تفسير هذه الآية:-

﴿نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفوّ المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾

وقال الإمام الباقرعليه السلام في تفسير هذه الآية كذلك:-

﴿إنَّ المراد بالناس النبيّ وآله، والمراد بالفضل فيه، النبوّة، وفي آله الإمامة﴾

قال تعالى في سورة الفلق/آية/5:-

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

فالحسد شرّ، والحاسد هو الذي يتمنى زوال النعمة عن صاحبها وأهلها، وتصبح له من دونهم، ويحمله حسده على إيقاع الشرّ والأذى بالمحسود، فأمر بالتعوّذ.

وقد روي أنَّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) كان كثيراً ما يُعوّذ الحسن والحسين بسورة الفلق والناس.

وفي الدر المنثور، أخرجَ ابن أبي شيبة عن أنس، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿إنَّ الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب﴾

وفي الحديث الشريف:-

﴿المنافق يحسد والمؤمن يغبط﴾

أي يتمنى أن يكون له من النعمة مثل ما لأخيه، ولا يتمنى زوالها عنه.

وقال الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام):-

﴿ما رأيتُ ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، نَفَس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم﴾

وقال الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام):-

﴿هلاك الناس في ثلاث: الكبر، الحرص، والحسد.. فالكبر: هلاك الدِّين، وبه لُعِنَ إبليس.. والحرص: عدوّ النفس، وبه أُخرجَ آدم من الجنة.. والحسد: رائد السوء، ومنه قتل قابيل هابيل﴾

الأسى على ما مضى، والفرح بما يأتي:

قال تعالى في سورة الحديد/آية/23:-

﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوْا بِمَا آتَاكُمْ﴾

تشير الآية إلى عدم الجزع والحزن على ما يفوت الإنسان من نِعم الدنيا، وعدم الفرح والاغترار بما يأتيه منها، فإذا كان الإنسان بهذه الصورة، فلابد أن يجتمع فيه أربعة اشياء كنتيجة لتلك الصورة:-

الأول: حُسن الخُلُق، وذلك لأنّه من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها، فلا يحسد ولا يشاح ولا يعادي، فإنَّ هذه أسباب سوء الخُلُق التي هي من نتائج حبّ الدنيا.

الثاني: استحقار الدنيا وعدم الاغترار بها وبأهلها، إذا لم يفرح لوجودها ولم يحزن لعدمها.

الثالث: تعظيم الآخرة، لما ينال فيها من الثواب والأجر ورفيع الدرجات.

الرابع: التعلّق بالله(عز وجل) والافتخار به وحده دون أسباب الدنيا.

ويروى أنَّ الإمام علي بن الحسين(عليهما السلام) جاءه رجل، فقال له: ما الزهد؟.. قال:-

﴿الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا، وأنَّ الزهد كله في آية من كتاب الله: لِكَيْلاَ تَأْسَوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوْا بِمَا آتَاكُمْ﴾

وقال الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام):-

﴿الزهد كله بين كلمتين من القرآن، ثم تلا هذه الآية وقال: ومن لا يأسَ على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه﴾

والواقع أنّه ما من أحد إلاّ ويفرح ويحزن، حتى الأنبياء والأوصياء، ولكن القصد من النهي، أن لا يدخله الفرح في باطل ولا يخرجه الحزن عن الحقّ.

فقد وردَ أنَّ الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، أنّه قال عند موت ولده إبراهيم:-

﴿تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما لا يرضي ربّنا، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون ﴾

الزنـا:

قال تعالى في سورة الإسراء/آية/132:-

﴿وَلاَ تَقْرَبُوْا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيْلاً ﴾

تنهى الآية الكريمة عن الزنا، وقد بالغَ الله(سبحانه) في تحريمه حيث نهى عن أن

يقربوه.

وعلّله بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ﴾ أي أنّه معصية كبيرة وجريمة عظيمة، وأنَّ صفة الفحش لازمة له أبداً، وأنّها فاحشة في الجاهلية وقبل الإسلام.

ثم تشير الآية بقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيْلاً ﴾ أي أنّه بئس الطريق والسبيل، فإنّه يؤدي إلى فساد المجتمع من جميع شؤونه، فإنّه لا يكون للولد نسب إذ ليس بعض الزناة أولى به من بعض، فيؤدي ذلك إلى قطع الأنساب وإبطال المواريث وإبطال صلة الرحم وحقوق الآباء على الأولاد، وذلك هو الفحش بعينه.

وقد بالغَ سبحانه في وعيد من أتى به، حيث قال في صفات المؤمنين كما في سورة الفرقان/آية/(68-69):-

﴿وَلاَ يَزْنُوْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ آثَامَاً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيْهِ مُهَانَاً إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً ﴾

وكفى بالزنا قبحاً، أنّه من أقذر الصفات عند السبّ والشتم.

وقد روي عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، أنّه قال:-

﴿في الزنا ست خصال: ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة.. فأما اللواتي في الدنيا: فيذهب بنور وجهه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء.

وأما اللواتي في الآخرة: فغضب الربّ، وسوء الحساب، والدخول في النار -أو الخلود في النار ﴾

قال تعالى في سورة النور/آية/2:-

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَ رَأْفَةٌ فِي دِيْنِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾

هذا هو عقاب الزاني والزانية لغير المحصن والمحصنة، إنّه الجَلْد مائة جلدة من

دون عطف ولا رأفة، وأمام طائفة من المؤمنين.

وأما المحصن والمحصنة، فعقابه الرجم بالحجارة حتى الموت، والمحصن هو المتزوج المتمكن من زوجته، وقد سئل الإمام الصادق(عليه السلام) عن معنى المحصن، فقال:-

﴿من كان له فرج يغدو عليه ويروح فهو محصن﴾

وينبغي هنا أن نشير على سبيل الإيجاز، أنَّ الإسلام وضعَ هذا العقاب الصارم، بعد أن جعلَ إجراءات وقائية يجب الالتزام بها، في مواجهة هذه الجريمة وهذا الإنحلال الخُلُقي.

ويمكن اختصار هذه الإجراءات بالنقاط التالية:-

1-أولاً: الحثّ على الزواج.

قال تعالى في سورة النور/آية/32:-

﴿وَأَنْكِحُوْا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُوْنُوْا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ واللهُ وَاسعٌ عَلِيْمٌ ﴾

2-ثانياً: إباحة تعدّد الزوجات في ظروف معينة.

قال تعالى في سورة النساء/آية/3:-

﴿فَانْكِحُوْا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾

3-ثالثاً: تحريم ارتداء المرأة لأي زيّ فاضح، إلاّ أن يكون أمام الزوج أو ذوي الأرحام.

قال تعالى في سورة الأحزاب/آية/59:-

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ

جَلاَبِيْبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوْرَاً رَحِيْمَاً﴾

قال تعالى في سورة النور/آية/31:-

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُوْلَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ.. الخ﴾

4-رابعاً: الأمر بغضِّ البصر أمام مفاتن النساء.

قال تعالى في سورة النور/آية/30:-

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوْا فُرُوْجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا يَصْنَعُوْنَ ﴾

5-خامساً: تحريم القذف بما لم يثبت من الفواحش، وفرض حدٍّ قاسٍ للقذف.

قال تعالى في سورة النور/آية/4:-

﴿وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوْهُمْ ثَمَانِيْنَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوْا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدَاً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَ﴾

وقال تعالى في سورة النور/آية/19:-

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾

وقال تعالى في سورة النور/آية/23:-

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوْا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾

6-سادساً: النهي عن الدخول في بيوت الاخرين دون استئذان أهلها.. قال تعالى

في سورة النور/آية/(27–29):–

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوْتاً غَيْرَ بُيُوْتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوْا فِيْهَا أَحَداً فَلا تَدْخُلُوْهَا حَتَّى يُؤذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيْلَ لَكُمْ ارْجِعُوْا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعمَلُوْنَ عَلِيْمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوْا بُيُوْتاً غَيْرَ مَسْكُوْنَةٍ فِيْهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا تَكْتُمُوْنَ﴾

تعاطي الخمر، الخبائث:

قال تعالى في سورة المائدة/آية/(90–91):–

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ إِنَّمَا يُرِيْدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوْقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ﴾

الآية الشريفة تدلّ على حرمة شرب الخمر ولعب القمار، ووجوب الاجتناب عنها، وذلك من كلمة ﴿فَاجْتَنِبُوْهُ﴾ فإنّها أمر، والأمر يدلّ على الوجوب.

وما حرّم الخمر إلاّ لما فيه من الإضرار في الجسم والعقل والمال، وقد قرنَ الله(سبحانه) شرب الخمر ولعب القمار بعبادة الأصنام.. وقد بيّنَ هنا أنَّ سبب وجوب الاجتناب هو الفلاح، ولو لم يكن دليل على تحريم الخمر إلاّ مساواته مع عبادة الأصنام، لكفى في حرمته.

وبعد أن أكّدَ سبحانه وتعالى تحريم شرب الخمر ولعب القمار والميسِر، وقرنهما بعبادة الأصنام، وأوضح أنَّ الاجتناب عنهما هو سبيل الفلاح وطريق النجاح، بعد هذا كله،

أشار سبحانه إلى أنَّ فيهما مفسدين:-

1-الأولى: إجتماعية: وهي إيقاع البغضاء والعداوة بين الناس، وقطع الصلات والعلاقات.

2-الثانية: دينية: وهي الصدّ عن ذكر الله عزّ وجلّ والبعد عن الصلاة وكل العبادات.

ثم أكد ثانية الانتهاء عن الخمر والميسِر بأبلغ تعبير وأجمل صورة، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ﴾.

في الكافي، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:-

﴿لعنَ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عشرة: غارسها، وحارسها، وعاصرها، وشاربها، وساقيها، وحاملها والمحمولة إليه، وبايعها، ومشتريها، وآكل ثمنها﴾

وقد روي عن أحد الأئمة(عليهم السلام):-

﴿إنَّ الله جعل للمعصية بيتاً، ثم جعل للبيت باباً، ثم جعل للباب غلقاً، ثم جعلَ للغلق مفتاحاً، فمفتاح المعصية، الخمر، وما عُصِيَ الله بشيء أشدُّ من شرب المسكر، إنَّ أحدهم يدع الصلاة الفريضة ويثب على أمّه وابنته وأخته وهو لا يعقل﴾

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:-

﴿قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): إنَّ الخمر رأس كل إثم﴾

وعنه عليه السلام أيضاً، عن النبيّ(صلوات الله عليه) قال:-

﴿أقسمَ ربّي جلّ جلاله، لا يشرب عبد لي خمراً في الدنيا، إلاّ سقيته يوم القيامة مثل ما شرب منها من الحميم.. ثم قال: إنَّ شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودّاً وجهه، مزرقة عيناه، مائلاً شدقه، سائلاً لعابه، والغاً لسانه من قفاه﴾

وفي الكافي، عن الإمام الصادق(عليه السلام)، قال:-

﴿قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ملعون ملعون من جلسَ على مائدة يُشرب عليها الخمر ﴾

قال تعالى في سورة الأعراف/آية/157:-

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

تشير الآية الكريمة إلى أنَّ الله (عز وجل) أحلَّ الطيبات وهي: اللذائذ من الأكل والرزق الحلال، وحرّمَ الخبائث وهي: كل قبيح ورذيل من المال والمأكل.. قال تعالى في سورة البقرة/آية/173:-

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمِيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيْرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾

تُحرّم الآية الشريفة أربعة أمور التي هي من مصاديق الخبائث:-

1-الأول: الميتة: وهي كل حيوان يموت من غير تذكية شرعية.

2-الثاني: الدم: والمقصود به الزائد عن دم الذبيحة المختلط باللحم المعفو عنه.

3-الثالث: الخنزير: فهو محرّم الأكل بكل أجزائه، وإنّما ذُكِرَ اللحم بالخصوص، لأنّه أظهرَ الأجزاء التي ينتفع بها.

4-الرابع: ما أُهِلَّ به لغير الله: وهو ما ذكرَ عليه حين الذبح، إسم غير الله(تعالى).

والسبب في تحريم الأنواع الثلاثة، من الميتة والدم ولحم الخنزير، صحية يعرفها أصحاب الاختصاص من الأطباء ولا يسعنا التعرض إليها وشرحها بهذا الموجز.

وأما الحكمة من المنع عمّا ذكر إسم الله عليه، فدينية، تهدف إلى صيانة التوحيد والتنزيه عن الشرك.

كل وسخ –أخلاقي أو مادي:

قال تعالى في سورة المدثر/آية/(4-5):-

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾

الآية الكريمة تشير إلى الطهارة والنظافة وليس من شكّ أنَّ نظافة البدن والثياب من الإيمان ومن علامات المؤمن، كما ورد في الحديث الشريف عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿إنَّ الله يحبّ المؤمن النظيف وإنَّ النظافة من الإيمان﴾

والمعنى الذي تشير إليه الآية المباركة أعمق واشمل وأعم.

فالآية تدعو إلى طهارة الظاهر من الأوساخ والأقذار وكل المنفّرات، وطهارة الباطن من كل الرذائل والقبائح وكل الذنوب والآثام.

فالطهارة إذن، من الأمور المهمة التي يجب أن تتوفر في كل إنسان، طهارة الظاهر والباطن.

قال تعالى في سورة التوبة/آية/108:-

﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِيْنَ﴾

أكل المال بالباطل:

قال تعالى في سورة البقرة/آية/188:-

﴿وَلاَ تَأْكُلُوْا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

وقال تعالى في سورة النساء/آية/29:-

﴿وَلاَ تَأْكُلُوْا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾

المقصود، أن لا يأكل البعض مال البعض الآخر، والمراد بالأكل هنا: كل تصرف في المال المأخوذ بشكل لا يقرّه الشرع.

والآية مقيّدة بالمال المأخوذ عن طريق المعاملات المحرّمة سواءاً كالمعاوضات

الربوية، أو تلك القائمة على أساس محرّم، وذلك كبيع الخمر والخنزير والميتة..

أما حرمة المال المأخوذ بالغصب والسلب والسرقة، فحرمته تستفاد من دليل آخر.

وعلى هذا الأساس استدلّ الفقهاء بالآيتين على بطلان كل معاملة، حرّم الله المال المأخوذ بسببها.

وفي الآيتين بيان وإشعار بالإنسانية وتكافلها، وأنَّ الإنسانية بمجموعها بمنزلة الجسم الواحد والكيان الواحد، والفرد، عضوّ في ذلك الجسم والكيان يصيبه ما أصابها، وكذلك العكس.

الربـا:

قال تعالى في سورة البقرة/آية/(275-276):-

﴿الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا لاَ يَقُوْمُوْنَ إِلاَّ كَمَا يَقُوْمُ الَّذِي يَتَخبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوْا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءهُ مُوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيْمٍ﴾

الآية الكريمة تصوّر وضع الذين يأكلون الربا، وكيف أنّهم لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان، والخبط: هو المشي على غير استواء، فيقال: خبط البعير، إذا اختَلّ جهة مشيه، وكذلك الذين يأكلون الربا، يمشون من غير استواء واهتداء، ضالّين عن الحقّ، منحرفين عن الطريق المستقيم.

وفي تفسير الكاشف قال: الربا، في اللغة، الزيادة.. ومن قوله تعالى ﴿إِهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي ازدادت.

وفي الشريعة: ينقسم إلى ربا النسيئة، أي القرض، وربا الفضل، أي الزيادة بسبب المعاوضة بين متجانسين، على التفصيل التالي:-

ومعنى ربا النسيئة أو القرض: أن يقرض الإنسان شيئاً لغيره، أي شيء كان، ويشترط على المستقرض المنفعة من وراء القرض، سواء أكانت المنفعة من جنس المال، كمن أقرضَ عشرة دراهم بشرط أن يردّها أحد عشر، أو من غير جنس المال الذي أقرضه، كما لو اشترط صاحب المال على المستقرض أن يعمل له عملاً أم يعيره كتاباً، أو أي شيء.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿كل قرض جرَّ نفعاً فهو حرام﴾

فلم يفرق بين أنواع النفع.

أجل.. إذا ردّ المستقرض المال، مع الزيادة تبرعاً منه ودون شرط، كان له ذلك، وجازَ للمقرض أن يأخذه، فقد كان النبيّ يردّ القرض مع الزيادة، ويقول:-

﴿إنَّ خير الناس أحسنهم قرضاً﴾

وينبغي أن ننتبه إلى أنَّ الربا يثبت في القرض بشرط الزيادة والمنفعة إطلاقاً، سواء كانت من العين من نوع المكيل أو الوزن أو المعدود أو المزروع، وسواء أكانت من نوع المال المقترض أو من غيره.. وبكلمة، إنَّ ربا القرض لا فرق فيه بين عين وعين، ولا بين منفعة ومنفعة.

أما ربا الفضل، وهو الزيادة في المعاوضة، فيشترط فيه أمران:-

1-الأول: أن يصدق على كل من العوضين، إسم الحقيقة النوعية التي توجد فيهما بجميع مقوماتها: كبيع الحنطة بالحنطة، أو بيع الحنطة بالدقيق، لأنَّ الثاني متفرع من الأول، أو بيع النشاء بالدقيق، لأنَّ الإثنين متفرعان من أصل واحد، وهو الحنطة، والدليل على هذا الشرط، قول النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿إذا اختلفَ الجنسان فبيعوا كيف شئتم﴾

وأجمعَ الفقهاء، إلاّ من شذَّ على أنَّ الحنطة والشعير من جنس واحد.

2–الثاني: أن يكون العوضان مما يُكال أو يوزن، فلا ربا فيما يباع عدّاً كالبيض، ولا مشاهدةً كالثوب والحيوان، فيجوز بيع بيضة ببيضتين، وثوب بثوبين نقداً ونسيئة.

والخلاصة: إنَّ الربا محرّم في الدين إطلاقاً، وفي المعاوضة في خصوص ما يكال أو يوزن، معدناً كان كالذهب والفضة، أو حبّاً كالحنطة والشعير، أو فاكهة أو نباتاً مع كون الإثنين من جنس واحد.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):–

﴿يأتي آكل الربا يوم القيامة مختبلاً يجرُّ شقيه، ثم قرأ: لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ﴾

وفي المجمع عن عليّ عليه السلام أنّه قال:–

﴿لعنَ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة: آكله وموكله وشاهِدَيه وكاتبه﴾

وفي تفسير القمّي، في قوله تعالى ﴿الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا... الخ﴾ عن الصادق عليه السلام، قال:–

﴿قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): لمّا أُسريَ بي إلى السماء، رأيتُ قوماً يريد أحدهم أن يقوم، فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلتُ: من هؤلاء يا جبرائيل؟.. قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا، لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ﴾

وينبغي هنا أن نذكر بعض أسباب تحريم الربا:–

1–إنَّ الربا يتنافى مع المبادئ الإنسانية السامية: كالمساعدة والتعاون والبرّ والتعاطف.

2–إنَّ الربا أوضح مصاديق أكل المال بالباطل، وذلك لأنَّ المرابي يأخذه بلا

عوض.

3–إنَّ المرابي الذي يعطي المال يربح دائماً، والمستقرض يكون معرّض للخسارة، والنتيجة: يكون المرابي هو الذي يحتكر الثروة بتمامها.

أكل مال اليتيم:

قال تعالى في سورة النساء/آية/10:–

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمَاً إِنَّمَا يَأْكُلُوْنَ فِي بُطُوْنِهِمْ نَارَاً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيْرَاً﴾

تشير الآية الكريمة إلى الذين يأكلون أموال اليتامى وينتفعون بها ويأخذونها ظلماً بغير حقٍّ.. والآية لم تقصد الأكل فحسب، الذي هو المضغ والابتلاع، إلاّ أنّه قد خصّصَ الأكل بالذكر، لأنّه أكثر منافع المال المقصودة، بل قصدت الآية كل التصرفات والانتفاعات التي من جملتها الأكل، ولا فرق في التصرف والأكل بين القليل والكثير..

فقد سئل الإمام الرضا عليه السلام:–

﴿كم أدنى ما يدخل به آكل مال اليتيم تحت الوعيد، في هذه الآية، فقال: قليله وكثيره واحد، إذا كان من نيّته أن لا يردّه إليهم﴾

وبعد، تشير الآية الشريفة إلى وضع الذين يأكلون أموال اليتامى في الآخرة:–

فأما أن يكون المقصود بأكل النار، هو أكل ما يوجب العذاب في النار، وذلك يكون من باب إطلاق المسبب الذي هو النار على السبب الذي هو أكل مال اليتيم ظلماً.

أو أنَّ المقصود في الآية، بأنَّ النار ستخرج وتلتهب من أفواههم وأسماعهم وآنافهم يوم القيامة، ليعلم أهل الموقف أنّهم أكلة أموال اليتامى.. وقد رويَ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:–

﴿قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة، تأجج أفواههم ناراً.. فقيل له: يا رسول الله، مَن هؤلاء؟.. فقرأ هذه

الآية وهي: إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى...الخ ﴾

وتؤكد الآية ثانية، على عذاب الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، بقوله: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيْرًا﴾ أي أنّهم سيلزمون النار المسعرة وسيدخلون جهنم بعذابها وحريقها.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:-

﴿إنَّ في كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام: أنَّ من أكلَ مال اليتيم ظلماً، سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده ويلحقه وبال ذلك في الآخرة..

أما في الدنيا، فإنَّ الله يقول: ((وَلَيَخْشَ الَّذِيْنَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوْا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوْا اللهَ وَلْيَقُوْلُوْا قَوْلاً سَدِيْدًا))

وأما في الآخرة، فإنَّ الله يقول: ((إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى...الخ)) ﴾

سـوء الإدارة:

قال تعالى في سورة النساء/آية/5:-

﴿وَلاَ تُؤْتُوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾

السفيه: هو خفيف العقل، المُبذّر الذي يسيء التصرف في المال، ولا يضع الأشياء في مواضعها.

والآية تشير إلى كل من في يده مال، وأنّه مأمور أن لا يمكن منه السفيه، ولا يعطيه للذي يصرفه في غير وجهه، ويجعله في غير مكانه، ويضعه في غير محلّه وموضعه، ولا فرق في حرمة إعطاء السفيه المبذر، سواء كان ولداً أو زوجة أو أجنبياً أو أي أحد آخر.

وقيل: إنَّ الخطاب في الآية الكريمة، موجّه لخصوص الأولياء فيكون المعنى: يا أيّها الأولياء لا تسلّطوا السفهاء الذين تحت ولايتكم على أموالهم، فالسفيه يُمنع من التصرف في ماله، إلاَّ إذا أذنَ له الوليّ.

وفي تفسير العياشي، عن يونس بن يعقوب، قال: سألت أبا عبدالله الصادق عليه السلام

عن قول الله: ﴿وَلاَ تُؤتُوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾ قال:-

﴿من لا تثق به﴾

وفي تفسير العياشي أيضاً، عن إبراهيم بن عبد الحميد قال: سألت أبا عبدالله الصادق عليه السلام عن هذه الآية: ﴿وَلاَ تُؤتُوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾ قال:-

﴿كل من يشرب الخمر فهو سفيه﴾

والواضح أنَّ شارب الخمر من مصاديق السفيه، لأنّه يذهب عقله بيده، ويضع ما عنده من المال في غير محلّه وموضعه.

وفي تفسير القمي عن الإمام الباقر عليه السلام في الآية:-

﴿فالسفهاء، النساء والولد، إذا علم الرجل أنَّ امرأته سفيهة مفسدة، وولده سفيه مفسد لم ينبغِ له أن يُسلّط واحداً منهما على ماله الذي جعل الله له قياماً -معاشاً-﴾

-الفصل الثالث

المبـاحـات

التمتع بالطيبات:

قال تعالى في سورة البقرة/آية/172:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوْا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ﴾

أكل الحلال الطيب، هو الإيمان وهي الاستقامة، وليس الإيمان الصحيح، حرمان النفس عمّا أحلّه الله ﷻ والامتناع عن الطيبات كما يفعل ذلك بعض الرهبان والقسيسين وغيرهم من المتصوفة.

فإنَّ الله(سبحانه) قد أحلَّ لنا التمتع بالحياة بالصور المحللة، وأمَرَنا بالشكر عليها، والشكر بالقول والفعل، ومعنى الشكر بالفعل، هو أن نستعملها في الطرق التي ينبغي استعمالها فيها، أي في مرضاته وفي طاعته.

قال تعالى في سورة المائدة/آية/(87-88):-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ تُحَرِّمُوْا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوْا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ وَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً طَيِّباً﴾

قيل، إنَّ هذه الآية المباركة، نزلت في قسم من الصحابة، غلبَ عليهم الخوف من اللهﷻ فحرّموا على أنفسهم النساء وطيّبات الطعام واللباس، وانقطعوا إلى قيام الليل، وصيام النهار، فدعاهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وتلا عليهم هذه الآية، قال:-

﴿أما أنا، فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآتي النساء، فمن رغبَ عن سُنّتي، فليس منّي﴾

وبعد ذلك، تشير الآية إلى أنَّ تحريم الحلال اعتداء وتعدّي وظلم كتحليل الحرام تماماً، فكلّ شيء لم ينهَ الشارع المقدس عنه فهو جائز وحلال، كما جاء في الحديث الشريف:-

﴿إنَّ الله سكتَ عن أشياء، لم يسكت عنها نسياناً، فلا تتكلّفوها، رحمة من الله بكم﴾

قال تعالى في سورة الأعراف/آية/(31-32):-

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوْا زِيْنَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَّكُلُوْا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرَّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلِمُوْنَ﴾

قيل، إنَّ أهل الجاهلية، كانوا يذهبون إلى البيت وهو الكعبة، عراة ومن دون أي لباس نساءاً ورجالاً، ويطوفون بهذه الصورة القبيحة، بالإضافة إلى أنّهم كانوا لا يأكلون في أيام حجّهم هذا إلاّ أشياء قليلة وبسيطة، وذلك تعظيماً للحجّ في نظرهم، فنزلت هذه الآية المباركة، وبعد نزولها قال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان ﴾

ومهما كان سبب النزول، فإنَّ الله(سبحانه) حرّمَ نظر الأجنبي إلى عورة غيره، رجلاً كان أو امرأة، وأوجب ستر العورتين في الصلاة والطواف، وفي كل وقت مع وجود الناظر.

وبعد ذلك تشير الآية إلى الأكل والشرب وجوازه مع عدم الإسراف والتبذير في الأكل.

فقد ورد في الحديث الشريف:-

﴿المعدة بيت الداء، الحمية رأس كل دواء وعوّدوا كل جسم ما اعتاد﴾

ومن الواضح، أنَّ الحمية هي عدم الإسراف، والمقصود من ﴿وعوّدوا كل جسم ما اعتاد﴾ أي من الأمور المحللة النافعة، وقال الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام):-

﴿كم من أكلة منعت أكلات﴾

وتشير الآية إلى زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق، وجاء اللفظ بصيغة الاستفهام، ومعناه: المبالغة في نفي التحريم، وأنَّ الشيطان هو الذي يوحي بتحريم هذه الأشياء المحللة.

والزينة، كلمة عامة تنطبق على كل أفرادها، وتشمل جميع أنواعها من ملبس ومسكن وأثاث.

وتشمل الطيبات، جميع المأكولات والمشروبات، والتمتع بالهواء الطلق اللطيف والطيّب، إلى غير ذلك من كل ما لذَّ وطاب مما لم يرد النهي عنه في الشريعة المقدسة، فكل شيء حلال حتى يرد فيه نهي.

وقد استدلَّ الفقهاء، على هذه القاعدة بحكم العقل، بأنّه لا عقاب بلا بيان، وبقول الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿الناس في سعة ما لا يعلمون﴾

وقوله أيضاً:-

﴿ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم﴾

وقوله أيضاً:-

﴿كل شيء مطلق، حتى يرد فيه نهي﴾

المخالفة بالاضطرار:

قال تعالى في سورة البقرة/آية/173:-

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

وقال تعالى في سورة الأنعام/آية/119:-

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾

تشير الآية الكريمة، إلى حكم المضطر، وتعريف المضطر: هو الذي يخاف التلف على نفسه لو لم يتناول المحرّم، أو يخشى حدوث مرض أو زيادته، أو يخاف الضرر والأذى على نفس محترمة، كالحامل تخاف على حملها، والمرضعة على رضيعها، أو أكرهه قويّ على أكل أو شرب المحرّم، بحيث إذا لم يفعل أوذي في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه.

كل هذه وما إليها من المسوغات لتناول المحرّم، بشرط أن لا يتجاوز التناول المقدار الذي يرتفع به الضرر، ومن هنا اشتهر بين الفقهاء:-

﴿الضرورة تقدّر بقدرها﴾

ولهذا قيل في تفسير قوله تعالى:-

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

بأنَّ الباغي، من يرتكب الحرام من غير ضرورة، والعادي، من يتجاوز مقدار الحاجة.

والحمد لله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

وصحبه الميامين